إصدارات مركز أبوسليم للدراسات

الختم
الديواني في السودان

البروفيسور/ محمد إبراهيم أبوسليم

الطبعة الثانية - ٢٠١٢ م



إصدارات مركز أبو سليم للدراسات
(١٣)

الختم الديواني في السودان

بقلم
البروفيسور/ محمد إبراهيم أبو سليم

الطبعة الثانية
٢٠١٢م



الطبعة الثانية - يوليو ٢٠١٢م

الطابعون

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

أهـــداء

إلى: محـمد توفيق أحـمد

تقديراً لجهده العظيم معلماً وكاتباً صحفياً

ورائداً للتأمين وتحية لشخصه الكريم.



بسم الله الرحمن الرحيم

الختم الديواني

يتألف هذا الكتاب من ١٣٦ صفحة ، وصدر عام ١٩٨٣م عن المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف ، ويشتمل على مقدمة وفصول ، الفصل الأول عن التعريف بالختم ،(ص١٥) ويتعرض الفصل الثاني لتاريخ الختم (٣٣ - ٤٣) بينما يتناول الفصل الثالث الوثيقة العربية في السودان (٤٥ - ٤٩) وجاء الفصل الرابع بعنوان الختم الديواني في السودان (٥١ - ٧٧) وعالج الفصل الخامس بعض أختام السودان (٧٩ - ١٢٦) ، ويلي ذلك قائمة الأختام وجاءت في ثلاث صفحات ، تليها تعليقات الفصل في حوالي ٤ صفحات (١٣٠ - ١٣٤).

لا يعرف الكثير من القراء قصة هذا الكتاب وفكرته ومراحل كتابته ، ثم الإعداد والفراغ حتى صار مؤلفاً مكتملاً وهذا يعكس معاناة المؤلفين لسنوات لينتهي القارئ منه في ساعات أو يوم أو بعض يوم أو أقل أو أكثر.

وهذا الكتاب الذي نقدمه حصيلة سنوات من المعاناة في الجمع والرصد والمراجعة يصور المؤلف جانباً منه في مقدمته ، ونعرف من وصفه أن ما بين الفكرة والصلة بمادة الكتاب يبلغ ربع قرن منذ الخمسينات حتى أوائل الثمانينات من القرن الماضي ويبين المؤلف أن البداية كانت عندما وقف على الأختام والتواقيع في وثائق المهدي على تعددها وإختلافها ولم يكن ممكناً لمؤرخ وثائقي أن يتعامل مع هذه المادة بمجرد الجمع والتأليف وإنما دفعه هذا إلى دراسة نظم الديوان . وصول علم الوثائق لمعرفة خلفيتها التاريخية ، ثم إستفاد من كتاب الدكتور جمال الدين الشعال عن مجموعة الوثائق الفاطمية التي تعرض إلى أهمية الوثائق والدراسات المتصلة فيها بالنسبة للمؤرخ ، وبين فيها بعض قواعد علم الوثائق ، ثم نظر إلى وثائق تمليك الأرض في الفونج لإثبات أهمية الأرض في الدراسات التاريخية ، ثم أضاف إلى حصيلته المعرفية سمات الختم عند المهدي وأتباعه ، ثم نظر إلى وثائق تمليك الأرض في الفونج كمحاولة لإثبات أهمية الأرض في الدراسات التاريخية وأهمية النظم المتصلة بالأرض في تصوير العلاقات الإجتماعية.

جدير بالذكر أننا لا نهدف مما سبق عرض الكتاب فحسب ، وإنما أيضاً لبيان المنهج ومعرفة وسائل التكوين المعرفي الوثائقي لديه ، وهو يصلح لأي باحث ليستنير به ويعايش الفكرة ويقبلها دون عجلة حتى تخرج متكاملة ، مبرءاً في أي نقص.

ومكون أخر جاء إليه عندما نظر في مجموعة من وثائق الفور التي أودعها في كتابه (الفور والأرض). ورغم هذه الحصيلة الطيبة قد واصل إهتمامه بأمر الوثائق وقواعد كتابتها ثم بين بعض ما وصل إليه إزاء أختام الفور ، وصحح

بعض الأخطاء (التي وقعت فيها في كتاب الفونج والأرض من جراء التصميم غير المعم إزاء التشابه بين أختام الفور وأختام الفونج وتطابق كيفية التعامل بالأختام.

ويجمل المؤلف حصيلة تجربته ومعاناته بقوله (وهكذا تجمعت عندي في موضوع الأختام مذكرات كتبتها في فترات متباعدة وبيانات رصدتها من وقت لأخر في قصاصات - تستحق أن تجمع بين دفتي كتاب).

ثم يحدد الغرض من هذا البحث في:

أولاً:

التعريف بالختم وتاريخه ونظمه، لأن الختم أداة يستعملها الإنسان في معاملاته وبهذا يكتسب أهميته ويستحق البحث والكتابة عنه، وهذا يتطلب بيان موقعه ليكون من التعامل وشكل من التصرف، وطرف في إجراءات المتعاملين بالصعيدين العام والخاص.

ثانياً:

هو أن نعاون الباحثين الذين يعتمدون على الوثائق في بحوثهم وتيسير استعمالهم لها، ومعروف أن الختم أداة من أدوات دراسة الوثائق وتقويمها ومعرفة الزائف من الصحيح. كما أن الختم يساعد الباحث في معرفة تواريخ تولية الحاكم وتواريخ صدور المراسم ولون الحاكم ومعتقده وشهود الوثيقة التي تدل على وجودهم في فترة التوقيع، وللختم دلالات أخرى كثيرة في دراسة الوثيقة وإثبات الشريعة وجهة ومكان الصدور وموقعه من المتن في أعلاه أو أسفله وضافات ما بعد الختم منعا للتزوير........الخ.

ودراسة الختم في السودان وإستجلاء جوانبه الديوانية والتاريخية يضيف إلى علمنا الكثير في معرفة صحة صدورها وفي المراسلات والعودات كما إنها تبصرنا جوانبها الفنية وكيفية تحرير العقود والختم للعام والخاص وموضع الختم في كل الأحوال كما بينا ذلك. ويرى المؤلف أن دراسة الختم سوف تعين الباحثين على دراسة الوثائق وضبطها والتحقيق منها، وعلى الوصول إلى فوائد علمية جمة، لأن الباحث بدون العلم بالختم وكل جوانبه يكون فاقداً لأداة من أدوات البحث، ولعنصر من عناصر التحقيق.

لا يكتفي المؤلف بهذه المقدمة الوافية للعموميات وبالمصادر التي أعتمد عليها (ص٣) وإنما يعرف بالختم توثيقاً وصلته بعلم الديبلوماتيك عند الغربيين، ودلالته عند العرب وأخرين وأصله في اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية والأصل اللاتيني والفارسي - الخ ثم معانيه المتعددة في كل اللغات وما ورد في هذا الفصل دراسة متكاملة يصعب عرضها ونترك القارئ للكتاب (صفحات ٧ - ٢١) وفي الفصل الثاني يقدم دراسة وصفية عن تاريخ الختم عند الأمم القديمة

وإنتشاره ومواده وأختام الرسول والخلفاء وسماته ومميزاته ثم يفرد فصلاً كاملاً للوثيقة العربية في السودان ، وهو يهم القارئ السوداني أكثر من غيره ، وهو هنا يؤرخ لدخول الوثيقة العربية وإنتشار التدوين والختم مرتبط بالتدوين موثق له ، وهنا لا يتوقف المؤلف كثيراً عند الختم أكفاء بما قدم من دراسة رائدة عن الختم في الحضارات القديمة ويقرن ذلك بظهور الثقافة العربية ومراكز التصوف وتوسع أعمال الدولة في المعاملات وضرورة توثيقها بالأختام .

وظهور الختم في الممالك الإسلامية أمر جدير بالبحث والدراسة ، لأن التدوين كان نادراً والمعاملات والأوامر تنقل شفاهة والإستعانة بالشهود في العقود وشهد التوثيق بالختم تطوراً أخر عندما صار التدوين ضرورة وتم ذلك على يد المتخرجين في مراكز العلم ، والعلماء القادمين من الخارج .

وإدراكاً من المؤلف لأهمية الختم قدم لذلك بتاريخ للوثيقة العربية في السودان ومحاولات جمعها وتوصلت إلى حقائق ومعلومات كثيرة لم تكن معهودة من قبل ويعد الفصل الرابع من أهم الفصول وقد خصصه المؤلف للختم الديواني في السودان وتاريخ ظهور الوثيقة الديوانية بعد قيام السلطنات الإسلامية (الفونج - الفور - تقلي ومشيخة العبدلاب) - بذلك صار الختم ركناً أساسياً في توثيق الأوامر الرسمية بعد أن كانت السلطنات تعتمد على الأداء القوي للأمور .

وتطرق المؤلف في هذا الفصل إلى الختم الشخصي وتاريخه وأهميته وأختام الطوائف الدينية وتاريخ ظهورها ثم القواعد التوثيقية وأهميتها المصدرية ، فهو هنا يمعن في وصف الأختام والكتاب والخط وكيفية الإهتداء إلى نسبته إلى كاتبه .

والذين درسوا تاريخ الفونج والفور السياسي والحضاري لم يدركوا أهمية التوثيق وقواعده وكيفية دراسته وثائقياً ودلالة الأسم في أخر الوثيقة والشهود وهم شهود على الواقعة المذكورة في الوثيقة وليس على صحة صدورها عن السلطان الذي يعتمد على الختم في هذه الحالة ثم يتحدث عن توقيع القضاة والعلماء والولاة بأسمائهم عند صدور المحررات منهم ودون توقيع عند صدور وثيقة باسم السلطان .

وفي فترة المهدية كان الختم يدل على صدور الوثيقة من المسئول وبذلك جاءت غفلاً في التواقيع ، بينما كان الخلفاء والأمراء والعمال والنواب وكبار الموظفين يضعون أختامهم على وثائقهم .

ويسوق المؤلف معلومة مهمة وطريفة في الوقت نفسه فالكتاب عادة لا يوقعون إذا كتبوا لأمير أو عامل للمهدي أو للخليفة ، لعدم اللياقة ، وإذا ظهر خطأ في التحرير أو دس كان يسهل معرفته لتميز كتب كل أمير بخط معين .

هكذا يمعن المؤلف في وصف دقيق لقواعد التوثيق في المهدية ويعطي لكل طرف حقه واضعاً بذلك تصوراً كاملاً للباحث أو المؤرخ لتقديم دراسة علمية موثقة .

وبعد سياحة علمية مع القواعد التوثيقية للمهدي ومواد الأختام وأشكاله المتعددة من دائرية أو بيضوية أو في شكل مثلث ، ثم النقوش على الأختام والكتابة وخطوات التوثيق يعرج إلى الختم عند الفونج والعبدلاب وتميزه عن أختام سلاطين الفور ووضع الأختام الرسمية ووثائق القضاة ، وبعد وصف لإسلوب الكتابة ، وبعد إختلاف في بعضها ، ومن وصفه نفهم الكثير عن أسم السلطان والألقاب والأصول ، أما ختم الفور فهو أول مراحل التحرير بخلاف قاعدة الفونج كما أن سلاطينه تساهلوا وسمحوا لغير السلاطين بإصدار الوثائق بالختم السلطاني وهذا أمر يحتاج إلى دراسة علمية دقيقة .

ونترك الوصف الذي قدمه المؤلف ، وننتقل معه إلى العهد التركي المصري وتصرف وإستعمال الأداة التركية للختم على غرار ما كان سائداً في دواوين مصر ثم يثير المؤلف إشكالية ندرة وثائق هذا العهد الذي لم يصلنا من وثائق إلا القليل مما لا يشكل مجموعة كاملة تتيح للباحث دراسة كاملة ، وقد اشار المؤلف إلى ضرورة معالجة هذه الثغرة ، باجراء المزيد من الدراسة مستقبلاً ، والحق أن الباحث السوداني لفترة العهد التركي المصري يعاني كثيراً في دراساته من ندرة الوثائق ، وصعوبة الإهتداء إليها .

أما الختم في عهد المهدية فقد وضح لنا أنه سار على النمط التقليدي السوداني في عهد السلطنات ، ولم يؤثر كثيراً . الإسلوب التركي رغم استفادة المهدي من بعض كتاب هذا العهد ، ولكنه دعا إلى العودة إلى الإسلوب التقليدي للكتابة كمؤثر إسلامي لدولة إسلامية قائمة على تعاليمه .

وبعد عرض جيد للختم عند المهدي وأنصاره بإعتباره علامة إثباتية داله على صحة ما جاء في الوثيقة ، ثم يقدم معلومة طيبة عن موضع الختم في وثائق المهدية ، ثم يصف اختام المهدي الأربعة .

وينتقل المؤلف إلى العهد الثنائي ولا يتوقف كثيراً عنده بل يخصص له صفحة واحدة وأربعة سطور ، ويذكر أن الوثائق الرسمية لا تعتمد ما لم تختم بختم الجهاز الذي يصدره وتخصيص ختم لكل جهاز حكومي ، مع إختلاف في أشكاله من دائرية وبيضوية ، والأغلب كان مضلعاً في شكل مستطيل أو مربع . . . . الخ .

ونعتقد أن تطور علم الوثائق الذي وضع أساسه أبوسليم يريد من أهمية هذا الكتاب الذي يعد مصدراً يأتى مكملاً لعلم الوثائق ، واعادة نشره سوف يسد فراغاً كبيراً ، ويزيد من قيمة الدراسات التاريخية والاجتماعية والفنية .

د. يحي محمد إبراهيم

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الخرطوم

مقدمة

ترجع صلتي بالاختام إلى أواخر الخمسينيات، إذ عندها وقفت على مجموعة كبيرة من وثائق المهدية الممهورة بالتواقيع والأختام. وقد أثار انتباهي بالخصوص تعدد أختام المهدي التي وقفت عليها مع ما بينها من اختلاف. وفي أثناء ذلك بدأت دراسة نظم الديوان وأصول علم الوثائق حتى أعرف خلفية الوثائق التي كنت أدرسها والظروف التي خلقت فيها، وقد أفادني في ذلك كتاب المرحوم جمال الدين الشيال (١) تعرض في مقدمته إلى أهمية الوثائق والدراسات المتصلة بها بالنسبة للمؤرخ، وأبان فيها بالخصوص بعض قواعد علم الوثائق وعلاقتها بالدراسات التاريخية. وقد توفر لي من ذلك محصول طيب من المعرفة وضعت خلاصته فيما كتبته عن الختم عند المهدي واتباعه في كتاب الحركة الفكرية في المهدية (٢).

ثم تسنى لي بعد ذلك أن أنظر في جملة من وثائق الفونج المتصلة بالأرض والمراكز الدينية، وهي التي نشرت في كتاب الفونج والأرض (٣) كمحاولة لإثبات أهمية وثائق الأرض بالنسبة للدراسات التاريخية وأهمية النظم المتصلة بالأرض عند تصور العلاقات الاجتماعية. ومن واقع هذه الدراسة أدركت - فيما أدركت - بعض ما يتصل باختام الفونج وما يتصل بها من نظم. وقد وضعت خلاصة ما وصلت إليه أزاءها في مقدمة ذلك الكتاب.

وجاءت نوبة ثالثة عند نظري في مجموعة من وثائق الفور، وهي التي نشرت في كتاب الفور والأرض(٤). وقد واصلت فيه اهتمامي بأمر الوثائق وما يدخل في كتابتها من قواعد. وقد خصصت لذلك طرفاً من المقدمة وبينت بعض ما وصلت إليه أزاء أختام الفور، كما صححت بعض الأخطاء التي وقعت فيها في كتاب الفونج والأرض من جراء التعميم غير المدعم ازاء التشابه بين أختام الفور وأختام الفونج وتطابق كيفية التعامل بالأختام.

ثم بدأت ألقي محاضرات على طلبة الوثائق والمكتبات بجامعة أم دمان الإسلامية في علم الوثائق وفي موضوع الوثائق العربية والإسلامية، وكان ذلك يدعو إلى الكلام عن الأختام عموماً وعن الأختام الإسلامية ثم أختام السودان بشئ من التركيز.

وهكذا تجمعت عندي في موضوع الأختام مذكرات كتبتها في فترات متباعدة وبيانات رصدتها من وقت لآخر في قصاصات. وكان يتردد في بالي دائماً إنها تستحق أن تجمع بين دفتي كتاب، وأن تكون في بحث موحد يجمع بين ما ذكرت ويجعل الموضوع مكملاً بجوانبه المختلفة.

ثم لما استقر عزمنا على الاحتفال بالعيد الفضي لدار الوثائق المركزية لمضي خمس وعشرين سنة على إنشائها تجددت النية على العودة إلى موضوع الأختام والنظر في ما بلغه عندي جمعاً وكتابة لما هناك من صلة بين الأختام وبين ما تقوم به الدار في مجال التعريف بمصادر البحث وخدمة الوعي الوثائقي. وهكذا توافقت النية مع المناسبة، إذ ليس أنسب للاحتفال بحدث يتصل بدار الوثائق أكثر من وضع كتاب في موضوع يتصل بالأمور التي تعمل فيها الدار وبحث يكون أول المستفيدين منه من يعمل بها من الخبراء ومن يقصدها من الباحثين.

وقد هدفنا من وراء البحث إلى غرضين، أولهما التعريف بالختم وتاريخه وما يتصل به من النظم، وذلك باعتبار أن الختم أداة من أدوات الإنسان التي يستعملها في معاملاته وباعتباره تصرفاً إنسانياً يتشكل ويتطور حسب الظروف والأوضاع. ولذلك كان موضوعه يستحق أن يبحث فيه ويكتب عنه لأهميته. وعلينا أزاء هذا أن نبين موقع الختم من حيث انه لون من التعامل وشكل من التصرف وطرف في إجراءات المتعاملين، سواء على الصعيد الخاص أم العام، وأن نبين ما يتصل بصناعته والمواد التي صنعت منه، وأن نبين موضعه بين أدوات الدواوين ونظمها وكيفية التعامل به، ثم أن نبين كل ذلك، بقدر ما تتيح ظروف البحث - في التاريخ القديم وفي الإسلام وفي السودان. وثاني الغرضين هو أن نعاون الباحثين الذين يعتمدون على الوثائق في بحوثهم وأن نيسر استعمالهم لها. ذلك لأن التعامل مع الوثائق يتطلب - فضلاً عن الخبرة بالموضوع المباشر الذي يبحث فيه الباحث - معرفة بأمور أخرى مساعدة وأدوات يتملكها ليضبط بها الوثائق ، حتى يعرف الزائف منها والصحيح، والأصل منها والمكرر أو المصور، وحتى يعرف جهة الصدور ووقته، ونوع الوثيقة وقدرها عند صاحبها، ولونها بين ألوان الكتابة. وكل ذلك مما يقوم به علم الوثائق، وهو علم يخبرك بعناصر

الوثيقة وكيفية تتابعها حتى تقيم بناءها وتدرك أبعاده وتدرك مدى قدرة كاتبها واستيفائه بما قد تصدى له - وعلم التحقيق، إذا جاز لنا أن نسمي ذلك علماً، إذ هو خبرة وفن، وهو علم يعيننا على قراءة الوثيقة وفهمها والتوصل من خلال ذلك إلى الظروف التي كتبت فيها والبيانات التي تتضمنها بما يفيدنا في البحث العلمي.

وأنا لعلى يقين من أن دراسة الختم في السودان وإستجلاء جوانبه الديوانية والتاريخية سوف تضيف إلى علمنا كثيراً، لأن الختم، كما قلنا، تصرف إنساني يأخذ مكانه في المعاملات العامة والخاصة، سواء كانت مراسلات أو عقودات أو علامات، وسواء صدرت من جهة رسمية أو جهة خاصة، ونحن نستطيع أن نرد هذا التصرف إلى ظروفه الموضوعية وأن نبلغ به إلى ظروف التعامل بين الناس في زمن من الأزمان وفي مكان من الأماكن وأن نهتدي به إلى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تولد عنها. فنحن نستطيع أن ندرك كيف كانت الوثائق تحرر وكيف كانت تأخذ أشكالها المختلفة بحسب أغراضها وطبيعة ما تحتويه من القضايا والموضوعات، وكيف كانت العقودات تحرر، وأيها كانت تختم، وإلى أي حد كان الإلتزام بالختم وكيفية استعماله، ومن من الناس كان له خاتمه الخاص، ومن منهم كان له خاتم عام، وأين كان موضع الختم من الوثيقة وأي مدلول كان يحمله. وهكذا تتوالى المسائل وتتوارد الأمور فتتوسع مداركنا بالختم وبما يتصل به من نظم.

وأنا لعلى يقين أيضاً بأن هذه الدراسة سوف تعين الباحثين على دراسة الوثائق وضبطها والتحقق منها وعلى الوصول إلى فوائد علمية جمة، إذ بغير العلم بالختم يكون الباحث فاقداً لأداة من أدوات البحث وعنصر من عناصر التحقيق.

وقد رجعت لإعداد هذا البحث إلى مصادر ومراجع شتى.

أما المصادر فكانت مجموعة من الوثائق الأصلية التي يرجع بعضها إلى حكام الفونج والعبدلاب، وبعضها إلى سلاطين الفور، وبعضها إلى فترة المهدية، وبعضها الآخر شتات من هنا وهناك. (٥)

أما المراجع فكان منها كتاب «مجموعة الوثائق الفاطمية» للأستاذ جمال الدين الشيال، وكتاب (الأختام الإسلامية في المتحف العراقي» لأسامة ناصر النقشبندي وحياة عبد علي الخوري (٦)، وهو كتاب نفيس به مقدمة طيبة ورصد منضبط على الأصول العلمية للأختام المحفوظة بالمتحف. وهناك الطبعة الأمريكية لدائرة المعارف البريطانية (٧) وفيها مقال طويل عن الأختام ودراستها تحت مادة سجلوقرافي (Sigillography)، وقد ركز الكاتب بصفة خاصة على أختام أوروبا في القرون الوسطى وإن كان قد مهد لذلك بمقدمة عن نشأة الختم وتطوره في التاريخ القديم. أما الطبعة الرابعة عشر (٨) من هذه الدائرة وهي آخر ما طبع منها في بريطانيا فتتضمن مقالاً طيباً تحت مادو (Seal)، ،فيه يتركز الكلام أيضاً على الختم في الغرب في العصور الوسطى وعلى الأختام الصينية واليابانية. ويرد في «دائرة المعارف الإسلامية) (٩) مقال طيب عن الختم في الإسلام، وقد أعطى الكاتب اهتماماً خاصاً بالختم العثماني وصانعيه، ولعله اعتمد في ذلك على ما دونه الأتراك عن أختامهم وعلى ما ذكره المستشرقون في دراساتهم عن التاريخ العثماني.

وقد كتب العلامة ابن خلدون في مقدمته المشهورة (١٠) كلاماً عن الختم هو خير ما وقفنا عليه في المؤلفات العربية. وقد عد ابن خلدون الختم في شارات الدولة وعلاماتها، ولذلك جاء كلامه عنه مع الكلام عن الطراز والفساطيط والسياج، وقد عاش ابن خلدون في المغرب كما عاش في المشرق وعرف ما كان من أمر الختم فيهما، ولذلك فإنه ساق بعض ما يفترق هنا من هناك.

ويورد القلقشندي في صبح الأعشى فقرة جيدة عن الختم إلا أنها مختصرة.

وفي «تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة من عهد أبي بكر الصديق إلى عهد المؤلف سنة ٩١١ هـ» (١١) لجلال الدين السيوطي يرد خبر ختم عثمان بن عفان الذي دسه مروان بن عبد الحكم على خطاب كتبه باسم الخليفة إلى عامله بمصر. ويورد الطبري في الجزء الرابع من «من تاريخ الرسل والملوك» (١٢)، خبراً عن ختم النبي وجملة روايات عن حادث ختم عثمان الذي وضع زوراً على رسالة بأسمه.

ثم إني استعنت بالأستاذ أحمد عيسى - أمين مكتبة جامعة أم دمان الإسلامية سابقاً وبالأستاذ علي الخاتم فافاداني بارشاداتهما ووجهاني إلى بعض المراجع. وقد تفضل زميلي الأستاذ يحيى محمد إبراهيم فلفت نظري إلى تاريخ الطبري ومقدمة ابن خلدون، ودلني على موضع الختم منهما. وقد تكرم زميلي الآخر محمد صالح حسن فجمع لي ما أوردته معاجم اللغة عن الخاتم وما ذكره محمد فريد وجدي في «دائرة معارف القرن العشرين» (١٣). ونقل لي زميلي الفاضل عباس الصديق أمين مكتبة دار الوثائق سابقاً ما ورد في معجم أكسفورد(١٤) عن لفظ (Stamp) ولفظ (Seal).

وقد تولت زميلتي الآنسة بدرية أحمد العوض مراجعة نقوش الأختام وضبطها بينما تولت زميلتي الأخرى خديجة زروق قراءة ما كتبت وأفادتني ببعض أفكارها وآرائها.

وأذكر أيضاً زميلي سابقاً السيد عبد الله عابدين الذي رسم بعض أختام الفور والفونج بذوق فني كنت مأخوذاً به. وكان ظني أن يشاركني في اصدار هذا الكتاب وأن يكتمل على يديه رسم ما تبقى من أختام، لكنه آثر أن يكون عطاؤه في مجلة (سودان ناو)، وأني إذ أراه ناجحاً هناك - كما أتوقع منه دائماً وكما أحب أن أراه - اكتفى بشكره على عزم منا قد صح وأن كان الدهر قد أبا فيما يقول حافظ إبراهيم. وقد تفضل صديقي وزميلي الدكتور مبارك بابكر الريح فدلني على بعض بيانات عن الأختام في مصر والسودان قديماً. وكما هي عادتها دائماً فإن الأستاذة لدوين محاضرة التاريخ بآداب جامعة الخرطوم وقفت خلف البحث مؤيدة ومشجعة. وقد تولت زميلتنا ثريا عبد الرحمن طبع البحث وبذلت في ذلك غاية اجتهادها.

وإذ يكون الكتاب مكتملاً الآن في يد القارئ فليس أبر من أن أوجه شكري وخالص تقديري لهؤلاء الذين سعوا بما بذلوه حتى بلغ الأمر غايته.

الفصل الأول

التعريف بالختم:

الختم توثيقاً هو الأثر الذي يتركه جسم الختم على الوثيقة أو المادة بغرض التوثيق، أي لإضفاء الشرعية أو التأكيد على ما جاء بها أو التأمين عليها. وهو علامة لليقين. ويصنع هذا الجسم لأداء هذا الغرض بالوجه الذي يستلزمه العمل به. وكلاهما، أي الجسم وأثره، يعرفان أيضاً بالخاتم والختم. وقد اهتدى الإنسان إلى استعمال الختم قبل الميلاد بقرون. وبخلاف ما قد يظن فإن ظهوره قد سبق ظهور الكتابة. وقد ظل الإنسان يستعمل الختم في أغراضه المختلفة في مختلف عصور التاريخ وما يزال يستعمله إلى هذا اليوم.

والختم عند البعض طرف من علم الوثائق أو علم الدبلوماتيك (Diplomatic) (١)، فيما يصطلح عليه الغّربيون - فما اتفق العرب بعد على اصطلاح محدد لهذا الأمر - وهم يعدونه على هذا الوجه لأنهم يعتبرونه مرحلة من مراحل التدوين أو عنصراً من العناصر التي يختص بها هذا العلم، مثله في ذلك مثل الدعاء الديني والتاريخ والبعدية. وبعض آخر يعده علماً مستقلاً بنفسه ويعتنى به لغايته، وذلك بصرف النظر عن موضعه إزاء عناصر الوثيقة. ولو أنصفنا لجعلنا موضعه من الوثيقة والكيفية التي يرد بها طرفاً من علم الوثائق، ولجعلنا صناعته وتاريخه ونظم حمله واستعماله علماً مستقلاً.

والعلم المختص بدراسة الأختام يصطلح عليه في اللغة الأنجليزية بلفظ سجلو قرافي (Sigillography) (٢)، وأصل ذلك لفظ سجلم (Sigillum) اللاتيني ومنه لفظ (Seal) في اللغة الأنجليزية ولفظ (Scel) في اللغة الفرنسية، وكلاهما يعني الختم.

وأصل لفظ الخاتم أو الختم في اللغة العربية يرجع فيما يذهب إليه الأستاذ ج. ألآن (J.Allan) في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة الخاتم إلى اللغة الآرامية. وقد أعتمد في ذلك على نولدكه وفرينكل. والمرء قد يستغرب من هذا

الرأي وقد يستبعده لأن اللفظ يبدو عربياً قحاً من حيث بنائه وتصريفاته. ولكن ذلك لا يكفي للطعن ، دع عنك الرفض ، لأن بعض الألفاظ الأجنبية قد دخلت اللغة العربية وصارت منها حتى غدا لا يعرف أصلها الأجنبي إلا من كان مختصاً. ومثل ذلك لفظ قدح، بمعنى ماعون أو المقدار ، والذي يبدو عربياً صرفاً مع أنه يرجع إلى لفظ قادس الاغريقي والذي منه أيضاً لفظ القادوس والكدوس. واللفظ العربي للقادوس هو العصمور وجمعه عصامير. ولفظ الختم في اللغة العربية، بالرغم من أصله الأجنبي، غني بالمعاني والمدلولات ويمكن للقارئ أن يرجع إلى تاج العروس للزبيدي ومختار الصحاح للرازي ومعجمي المعلم بطرس البستاني محيط المحيط وقطر المحيط مثلاً ليقف على ما جمعته المعاجم من معاني هذا اللفظ ومدلولاته.

وفي الفارسية يقال له مهر، ومنه مهردار، وهو الرجل المنوط بحفظ ختم الحاكم، ويستعمل هذا اللفظ في العربية أيضاً فيقال مهره أي ختمه أو وقع عليه. ومثل مهردار لفظ الدفتردار، وهو الرجل المنوط بحفظ المال، ويأتي ذلك من لفظ دفتر الفارسي الأصل.

وعند النظر في لفظي ختم وخاتم يلاحظ أن لفظ ختم لا يتعدى في معناه الجسم الذي يتخذه صاحبه علامة له أو قرينة لشيئ وما يتركه هذا الجسم من أثر على الوثيقة أو المادة. ويقابل ذلك في اللغة الأنجليزية لفظي (Seal) و (Stamp) . ولذلك كان مدلوله محدداً. أما لفظ الخاتم فله عدة وجوه لما يحمل من الدلالات المختلفة. فقد يعني ما يعنيه الختم، وقد يعني الحلية المعروفة التي توضع في الأصبع سواء نقشت ليختم بها أم لم تنقش، كما قد يعني أموراً أخرى. ولذلك يتعدد مدلوله بحسب استعماله. والخاتم بختم يسمى في الأنجليزية (Signet ring)، وهذا ما يختص به هذا البحث.

ولغة يقال الخاتم بفتح التاء وكسرها. ويقال أيضاً: ختمه يختمه ختماً وختاماً بالكسرة (٣).

ومن معاني اللفظ نهاية الأمر، كقولهم ختم العمل أي فرع منه، وختم القرآن أي بلغ نهايته. وختم الشيئ بلغ آخره، وختم الوثيقة بلغ منتهاها، ومن ذلك قول

البوصيري في نهاية البردة النبوية: وهذه بردة المختار قد ختمت، أي بلغت آخرها.

ومن معانيه بلوغ الكمال ونهاية المرتقى، ومن ذلك خاتم النبيين بمعنى آخرهم وأعلاهم، ومنه ختم الولاية أي أقصاها وأتمها. ومن هنا جاء السيد محمد عثمان الميرغني بلفظ الختمية وأطلقه على طريقته، وذلك باعتبار أنه بلغ الدرجة القصوى من الولاية، وهي مرتبة الختم. وقد ذكر في بعض رسائله إنه بلغ في الولاية لا تكون لأحد غيره، لأنه هو الختم، ولا يعلوه في المرتبة الدينية إلا المهدي المنتظر ثم الرسول. وفي معناه أيضاً ختم أهل العرفان. وفي بعض معاجم اللغة أن الختام عند بعض طوائف الصوفية اسم مقام من مقامات الأولياء، وهو لا يبعد كثيراً عن مقصد لفظ الختمية عند مؤسس هذه الطريقة واتباعه.

ومن معاني اللفظ أيضاً اخفاء خبر الشيئ بجمع أطرافه عليه على وجه التحفظ، ومن هذا الوجه قوله ختم على قلبه أي سده وجعله لا يعي. ومنه الختم على الجرار والأسبتة وما إليها حفظاً لها من الغارة عليها.

ويعني اللفظ أيضاً الطين أو السداد الذي تسد به الأواني والدنان فيقال ختام، ومن ذلك قوله تعالى: ختامه مسك، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى ختام هنا هو ما يجدونه في آخر شرابهم من رائحة المسك كناية عن جودته البالغة، ولكن بعضاً آخر يرى أن المعنى يذهب إلى السداد وليس إلى آخر الشراب. وفي ذلك يقول العلامة ابن خلدون «لأن الخمر يجعل لها في الدنان سداد الطين أو القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها المسك وهو أطيب عرفاً وذوقاً من القار و الطين المعهودين في الدنيا(٤) ونحن نميل إلى القول بأن المعنى الأخير يأتي من السداد الذي كانت تسد به فوهات الفخار قديماً لتأمين ما بها، ولذلك كان ميلنا إليه.

ومن معاني الخاتم أيضاً السقية الأولى التي تلي الحرث مباشرة، فإذا قلت: ختم الزرع وختامه، فإن المعنى يذهب إلى السقية الأولى لا إلى نهاية المحصول، كما قد يتبادر إلى الذهن أولاً. وقد ذهبت المعاجم في اجتهادات كثيرة لبيان هذا الوجه وتعليله.

والخواتيم عند أهل الجفر السبعة المنفصلة أي التي لا تتصل بما بعدها من حروف وهي: أ، د، ذ، ر، ز، و، لا.

والخاتم يعني الحلية المعروفة التي توضع في الأصبع وهو ما يقابل لفظ (Ring) في اللغة الأنجليزية. وتخَّتم يعني جعل الخاتم في أصبعه. قال المعلم البستاني في المحيطين: وتختّم الخاتم وبالخاتم جعله في أصبعه، والخاتام حلى الأصبع حفر عليه اسم اللابس أم لا. وقال الزبيدي في تاج العروس: ومن المجاز لبس الخاتم وهو حلي للأصبع.

وختّم يعني طبع. قال صاحب المحيطين: ختمه أي طبعه ووضع عليه الختم، وقال الزبيدي نقلاً عن الراغب: الختم والطبع يقال على وجهين، الأول تأثير الشيء بنفس الخاتم والطابع، والثاني الأثر الحاصل عن النقش، ويتجوز به تارة في الاستيثاق من الشئ والمنع منه اعتباراً لما يحصل من المنع بالختم على الكتب والابواب وتارة في تحصيل أثر شئ عن شيئ اعتباراً بالنقش الحاصل. وقال الختام الطين الذي نختم به على الشئ، يقال ما ختامك طين أم شمع! والخاتَم بفتح التاء ما يوضع على الطينة. ويأتي من ذلك مقصدنا من هذا البحث وهو أن الجسم قد سمي ختماً لأنه يطبع ما به من نقش على غيره. ثم صار اللفظ يطلق على الأثر المادي الذي يتركه على الجسم ثم امتد إلى المفعول القانوني والمعنوي.

وخاتم سليمان هو ما يماثل خاتم نبي الله سليمان بن داوود رسماً، وهو خاتم له شهرة خاصة لما له من الشأن العظيم في القصص التي تروى عن سلطان سليمان على الجن وما يمتلك الجن من الرهبة عندما ترى خاتمه. وهو عبارة عن شكل يتكون من خمسة خطوط تقاطع بعضها وتلتقي في زوايا مكونة شكلاً بأركان مخمسة، ويوضع هذا الخاتم في نهاية الطلاسم السعيدة حتى لا تصل إليها الجن وتتملكها أو تعكس مفعولها. أما ما يجلب النحس من الطلاسم فلا يحمل هذا الخاتم، إذ المفروض أن للجن دوراً في أداء هذه المهمة. والطلسم عبارة عن خطوط وعلامات تنجيمية أو سحرية، وقد تكون أشكالاً من تلك البروج أو الحيوانات وقد يزداد عليها أسماء بعض الخلفاء الراشدين أو الأولياء

وأسماء بعض الشياطين واسم الإنسان المقصود أو ما يماثل رسمه أو ما يراد له. والغرض من الطلسم هو الوقاية من شر أو مرض أو الايقاع بشخص في شر مثل مرض أو حب أو سفر بغير عودة. ولفظ بدوح طلسم معين يعرفه أهل الطلاسم وهو يقابل حسب حروف الجمل الرقم ٨٦٤٢، ولكن الأرقام موضوعة مقابل الحروف بالتوالي وليست مجموعة كما تذهب العادة في حساب الجمل. ويوضع هذا الطلسم على أظرف الخطابات، وفي الغالب في الطرف الثاني منها، بغرض الحماية من الضياع والوقاية من الاعتداء. على أن هذه العادة آخذة في الزوال.

ويتصل بالختم الدمغة، وهذا اللفظ مأخوذ عن لفظ تمغا التركي، وهو عندهم في الأصل الوسم بالنار (٥). ومنه دمغة الأصبع أي بصمته كما يروى المنجد. ومنه الدمغة المطبوعة على شكل طابع بفئة معينة. وطابع البريد من قبيل ذلك.

والتوقيع والإمضاء والطغرا (٦)، شبيهة بالختم في الأثر الذي يتركه بحكم انها جميعاً علامات توثيقية ترمز إلى الدلالة على صحة صدور المكتوب عن صاحبه واعتماده له. والتوقيع وثيقة عليها امضاء الحاكم الإسلامي أو علامته دليلاً على اعتماده لها.

وقد جاء ذلك من تعليق الحكام على العرائض والقصص التي كانت تعرض عليهم، وهو بغيير الامضاء. والتوقيع يعني أيضاً ألقاب الحاكم التي تسجل في ديوان الاختام لاستعمالها في المحررات، وقد أطلقه المماليك أيضاً على كتب التعيين في الوظائف. والإمضاء هو رسم الاسم على الوثيقة بغرض الاعتماد، ولكنه يكتسب أيضاً معنى النفاذ والمضاء بحكم اقرار صاحب الإمضاء. والطغرا، أو الطغرى، لفظ تركي، ومعناه الرمز أو العلامة الخطية التي يتخذها الحاكم لتوضع في الوثائق الصادرة منه لتكون دليلاً على صدور الوثيقة منه، ولما كان الحاكم يتخذ شكلاً خاصاً يلتزم به فإن الطغرا أصبحت علامة ديوانية، فلا تتكرر عند غيره ولا تتعدد عنده ومن ثم فإنها تصبح شعار دولته.

وفيما يذهب الأستاذ ج. ألان فإن لفظ الختم لا يطلق «على الأختام التي يضرب عليها كتابات مقلوبة فحسب، بل يطلق أيضاً على الأدوات الشائعة التي على هيئة الخاتم وعليها كتابات منتظمة تتسم بصيغة دينية أو تجلب التوفيق والسعد، ويمكن الرجوع إلى مادة طلسم فيما يختص بهذه الأدوات التي هي عبارة عن تمائم، ويسهل التفرقة بينها وبين الأختام بعدم وجود أسماء أشخاص عليها. والواقع أن كل شئ مدموغ بكتابة ما يمكن أن يطلق عليه اسم خاتم (٧).

لقد قطعنا هذا الشوط الطويل لبيان المدلولات والمعاني لهذا اللفظ للفائدة اللغوية. ولكن بحثنا ينصب على الختم بمعنى الجسم الذي يصنع ليكون علامة لصاحبه، ثم يطبع به على ما يصدر منه على سبيل الإستيقان والتأكيد ثم الأثر الذي يتركه هذا الجسم على المادة المختومة سواء كان مادياً أو معنوياً، وقد يكون ذلك مستقلاً فيسمى ختماً، وقد يكون على خاتم للأصبع فيكون ختماً وخاتماً.

وهناك نوعان من الختم ، نوع بسيط يكون مسطحه على استواء وهو الشائع الآن، ونوع أسطواني. وكان النوع الأخير يستعمل عادة للطبع على فوهات الجرار لما كان شكله الأسطواني يسهل دحرجته في أتجاه دائري.

وصناعة الختم أو الخاتم الذي يحمل الختم تكون من نفس المواد. ولكن علينا أن نتذكر أن نقش الختم في أختام المعادن والعاج وما نحوهما يكون طرفا منه أو يكون فصا عليه. أما الإحجار الكريمة فكانت ترتب بالنقوش، ثم تركب على جسم الخاتم فتكون فصاً، وعلى ذلك ينبغي أن نفرق عند الكلام عن الصناعة وعن المعادن بين ما هو خاتم للحلي فحسب وخاتم (Signet ring) ينقش للختم به أياً كان نوعه ومعدنه وبين ختم لا يكون على خاتم وإنما يكون معداً للطبع وحسب أي (Stamp).

لقد صنع الخاتم من مواد مختلفة وهي ما تزال نفس المواد التي يصنع منها الآن أو على الأقل ما يمكن صناعته منها(٨). والواقع أنه يمكن صناعة الخاتم من كل مادة صلبة تتوفر فيها القوة والمتانة مع إمكانية النقش فيها. وقد أتخذت المواد حسب توافرها وشيوعها. فإذا توفر النحاس في بلد وزمن استعمل النحاس، وإذا توفرت الأحجار الكريمة اتخذوها للأختام، وهكذا.

لقد صنع الخاتم من معدن الذهب، وهو معدن نفيس مرتفع الثمن، ولذلك كانت أختام الذهب نادرة. وقد كان خاتمه وقفاً على الملوك والسلاطين والأمراء والأغنياء. وكانت بعض الأختام البابوية في القرون الوسطى مصنوعة من الذهب. وتذهب الشريعة الإسلامية إلى منع التختم بالذهب وحظر استعماله، غير أن ذلك لم يمنع بعض الملوك والسلاطين من التجاوز، لأن اتخاذ المواد النفيسة الغالية يدل على الثراء والأبهة والباع الطويل. وعلى ما قيل فإن عائشة زوجة الرسول ظلت تختّم بالذهب حتى بعد الأمر بالحظر عن الذهب، ويبدو من ذلك ومن دلائل أخرى أن منع تزين النساء بالذهب لم يكن مؤكداً في الإسلام.

وصنع الخاتم من الفضة، وهي المعدن الوحيد المأذون به في الإسلام بشكل صريح لعمل الخاتم، بل إن اتخاذها لهذا الغرض ذهب سنة بعد أن أختتم بها النبي عليه الصلاة والسلام.

وصنع الخاتم من النحاس، وقد كثر استعمال هذا المعدن لكثرة انتشاره ورخص ثمنه، إلا أن الشريعة كرهت التختّم به.

وفي القرون الوسطى شاع استعمال ضرب من النحاس الأصفر يعرف في اللغة الأنجليزية بمعدن لاتين (Latten). ويمكن اتخاذ الخاتم من المموه والمغشى، لكن ذلك مكروه أيضاً من وجهة نظر الشرع.

كذلك صنع من الحديد، وقد قيل إن هذا المعدن استعمل لهذا الغرض من القرن السابع عشر. وهو أيضاً مكروه حسب تعاليم الشرع الحنيف.

والرصاص قد استعمل أيضاً لهذا الغرض، وقد ذكر أن أغلب أختام جنوب أوربا في القرون الوسطى وخاصة الأختام البابوية كانت مصنوعة من هذا المعدن. واستعمال الرصاص في الختم مكروه أيضاً شرعاً.

والعاج كان وما يزال مادة للخاتم، ولا بد أن اتخاذ الخاتم منه كان يكثر في البلاد القريبة من مواطن الفيل، مثل السودان ومصر، بينما يقل بعيداً عنها. وكان التزين بخاتم العاج والأساور منه يدل على السمو في المكانة والرفعة. ويوجد عدد من خواتم العاج التي زين بها الحكام والعلية أصابعهم قديماً في متحف السودان القومي، كما أن استعمالها على نفس الوجه ما يزال سائداً في

دولة الجنوب، للدلالة على السلطة والمكانة السامية. وبعض خواتم العاج قديماً كانت لاطلاق النبال. ويبدو أن موضع خاتم العاج كان في الابهام كما أن السوار يمكن أن يكون فوق الكوع أو دونه. ويتخذ بعض أبناء دولة جنوب السودان زينة من ذيل الفيل ليكون دليلاً على اصطياد صاحبه لهذا الحيوان الضخم وعلامة للقوة والفروسية، ويبدو إن مصدر استعمال العاج عند علية القوم قديماً كان على نفس النحو، أي القدرة على مواجهة هذا الحيوان وصيده أو القدرة على اقتناء النفائس.

والعظم مثل العاج يصلح مادة للختم، وهو يكثر عند أبناء الجنوب، وقد اتخذه العرب مادة للكتابة، وكان مما كتب عليه المصحف الشريف والأحاديث الشريفة.

ولقد استعملت الأحجار الكريمة في صناعة الخاتم إلا أن استعماله قصر على الأحجار ذات السعر المتوسط أو الأدنى، وذلك خوفاً من السرقة أو الكلفة أو تعففاً من استعمال النفائس تأدباً مع الشرع. ومن الأحجار الكريمة التي استعملت كثيراً في الخاتم الفيروز ومنه العقيق وحجر السيلان والحجر اليماني والمرجان والياقوت والحجر الأسود والأخضر والكريستال. وكثيراً ما كان يحفر عليها على شكل تمائم أو نقوش ثم ترصع بالذهب. كذلك استعمل الحجر العادي. وكان الكلس كثيراً ما يستعمل.

استعمل أيضاً الرخام والصلصال. والأخير مادة ملساء وتشكل منه الألعاب أيضاً، ويعرف الخاتم بالقرقس، وقد رد هذا اللفظ أيضاً إلى اللغة الآرامية. وهناك ختم الجعران والذي شاع على الخصوص في مصر في العهود القديمة. وفي الروايات أن بعض أختام العرب كانت مصنوعة من الورق، والمقصود هنا هو الفضة وليس ورق الكتابة كما قد يُفهم. كذلك صنع الختم من الخشب، وشاع ختم الخشب في مصر القديمة كثيراً. وإلى الآن يصنع البعض أختامهم، خصوصاً أبناء جنوب السودان - من خشب التك والأبنوس وغيرها من الأخشاب المتينة.

وعلى ما جاء في أخبار المهدية فإن بعضهم تمكن من صنع الختم من القرع وزور به. وتفصيل ذلك أن غردون باشا أصدر أثناء حصار الخرطوم عملة ورقية بفئات متفاوتة عرفت بأوراق البون وكتب على كل ورقة: هذا المبلغ مقبول ويجري

دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه في ٢٥ أبريل سنة ١٨٨٤م، ثم رقمها بأرقام مسلسلة ووضع عليها ختمه الذي يستعمله في محررات الحكمدارية واسمه ممهوراً بالأحرف العربية وامضاءه بالأحرف الأنجليزية. وقد تمكن صابر وأحمد أبناء عبد الغني السلاوي من تقليد هذه العملة بأن قلدا مكتوبها وختم غردون واسمه وامضاءه بالنقش على القرع وطبعاً أوراق البون كأوراق غردون. (٩)

وقد تعددت مواضع استعمال الختم وتنوعت حسب الأغراض المطلوبة منه، وكان أقدم ما استعمل فيه الختم فوهات الجرار ورزم البضائع والأسبتة والصناديق التي تحتوي على المقتنيات. وقد استعمل في ذلك الطين ثم الشمع، وبالطبع فإن مثل هذا التدبير لا يمنع الإفتضاء بشكل مادي ولكنه يحول دون اللص المتعجل أو الخجل كما أنه ينبئ صاحب البضاعة بأن شخصاً ما قد لعب بما ختمه. والنوبيون في شمال السودان ما زالوا يتعاملون بمثل هذا التدبير، فهم يضعون الغلال والبلح في صوامع من الطين تسمى قسَيبة، ولها فتحتان، فتحة كبيرة في أعلاها لتصب بها الغلال أو البلح وفتحة صغيرة بأسفلها ليؤخذ منها. فإذا ما وضع ما يراد حفظه قفلت الفتحتان وغطيتا بالطين وطليتا مع جسم الوعاء. وهنا يضع البعض علامة على الطين فتبقى العلامة سليمة ما دام ما بالوعاء سليماً أو تكون مكسورة أو بغير ما كانت عليه إذا افتضتها يده، وعلى هذا النحو وضع الختم على فوهات جرار الخمر ونحوه، فهو دليل على أن أحداً لم يلعب بما فيها.

وهنا لا بد أن نذكر أن مادة الختم قديماً كانت الطين، وذلك لأن الطين كان مادة الكتابة قبل أن يستعمل الإنسان من بعد غيره من المواد. ومن هنا نجد الأرقام الطينية التي استعملت كسجلات والمدونات الطينية التي أودع فيها الإنسان أسراره ومعارفه، ولعل اثرى بلاد العالم في المقتنيات الطينية وأغناها القطر العراقي وأرث حضارة ما بين النهرين.

يوضع الختم أيضاً على الكتب وعلى بعض المقتنيات للدلالة على ملكية صاحبها، وهذا بخلاف ما يكون على الجرار والرزم والأسبتة والصناديق والأبواب والتي يكون الختم فيها بغرض التأمين ضد الإفضاء أو الغارة.

ويوضع الختم على موضع الحزم من المكتوب، وهو يكون من باب الوضع على السداد والفوهات، والحزم يكون إما بدس الورق في مظروف كما كان في عرف دول المغرب العربي ثم يوضع الختم على مكان الإفتضاء، وهو نفس ما عليه الحال الآن، واما بلصق رأس المكتوب على ما ينطوي عليه من الكتاب كما في عرف دول المشرق العربي (١٠). وعلى ما يذكر ابن خلدون في مقدمته فإن معاوية بن أبي سفيان كان أول من ابتدع وضع الختم لتأمين قفل المحرر، وقد روي أنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بن ابيه بالكوفة بمائة ألف ففتح عمر الكتاب وصير المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه انكرها معاوية وطلب بها عمر وحبسه حتى دفع عنه أخوه عبد الله. وبهذه المناسبة اتخذ معاوية ديوانا لختم الرسائل. (١١)

ويقول العلامة ابن خلدون عن الختم على الحزم في دول المشرق والمغرب العربي: «فأهل الغرب يجعلون على مكان الرسم قطعة من الشمع يختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع، وكان في المشرق في الدول القديمة تختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد غمس في مذاق من الطين معد لذلك صبغة أحمر فيرتسم ذلك النقش عليه». (١٢)

ويوضع الختم على المكاييل والمقاييس لبيان السعة والمقدار واعتمادها وبيان البلد الذي صنع فيه المقياس والمكيال وجهة الصدور، وهو إما أن يطبع على الجسم أو يلصق به أو بالمقبض أو بحافته. وأمر ذلك واضح لمن ينظر في ختم الأواني والمكاييل والمقياس، ويوضع الختم على الذهب لبيان مقدار الجودة، وعادة يقال لذلك دمغة. والصياغ في مصر ملزمون قانونا بوضع الدمغة على ما يصنعون من حلى تأكيداً على معيار الذهب واثباتاً لمسؤوليتهم. أما في السودان فلا شيء يلزم. وصاحب الحلي عندنا يعتمد على صدق الصائغ الذي يختاره وعلى خبرته هو في تبين الذهب الخالص من المغشوش، وفي مكاييل العقاقير يوضع الختم أيضاً لبيان المقادير. وأنت ترى الختم على الأقة والرطل والأوقية والدرهم والمتر والياردة وعلى الذهب وعلى الربع وأقسامه وعلى كل ما يقاس به أو يكال، وأنت لا تكاد تطمئن على شئ من هذا ما لم يكن مختوماً.

ويوضع الختم على المكتوبات للدلالة على صدقها وصدورها عن جهتها بالكيفية المتعارفة والمعتمدة، ويكون موضعه في نهاية المكتوب بمعنى النهاية والتمام، وهنا يتطابق المعنيان، بمعنى التأييد والختم بمعنى النهاية. وقد يكون الختم في أول المكتوب للدلالة على جهة الصدور، ومعنى الختم في الحالين هو صحة المكتوب وضمان نفوذه، وبعض المكتوبات لا يتم العمل بها إلا بالختم كالعقود والاتفاقات والمكتوبات الصادرة من الدول والهيئات.

والأصل في ختم المكتوب هو الدلالة على جهة الصدور، وهو لذلك مثل الإمضاء والبصمة باليد، وكان العرب في الأصل يجعلون الختم موضع الإمضاء لجهلهم بالكتابة وعدم القدرة على الإمضاء، فلما انتشرت الكتابة ووقعوا على المكتوب بأسمائهم لم يتخلوا عن الأختام بل وضعوها مع الإمضاء أو بدله. ولذلك أسباب، أولها زيادة التأكيد بما يمضي به المكتوب وصدوره عن صاحبه وثانيها الأخذ بما أخذت به وثائق الدول التي كانت تمهر بالأختام، وثالثها التعبير عن وضع اجتماعي، ورابعها منع التزوير والغش إذ يصعب محاكاة الختم إذا ما سهلت محاكاة الإمضاء.

ومن استعمال الختم الرسمي بواسطة كتاب الديوان أطلق لفظ الختم على الكتّاب القائمين على نفاذ كتب الحكام والختم عليها إما بالختم أو الحزم أو العلامة الخاصة. ثم صار يطلق على مكان جلوسهم. وكان أمين الختم في المهدية بالسودان هو الكاتب الأول في ديوان المهدي والخليفة وحافظ أسرارهما. وكانت الكتب لا تصدر إلا بأمره ولا تختم إلا بعلمه. وعند العباسيين كان الختم للوزير، ومن هنا صار اللفظ يعني الوزارة. قال هارون الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي حين أراد أن يرفع الفضل ابنه عن الوزارة وأن يستوزر مكانه ابنه جعفرا: «يا ابت، إني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي»،(١٣) وعنى بذلك الوزارة، إذ كانت العلامة على الرسائل والصكوك وسائر مكتوبات الخليفة من مهام الوزير. ثم اختلف العرف وصار الختم لمن إليه ديوان الكتابة في الدولة. وقد صار الختم والعلامة التي يتخذها الحاكم في صدر مكتوبه من علامات الملك وشاراته، وكان ذلك على الخصوص في دول المغرب العربي. فقد صنعت

الأختام عندهم من الذهب ورصعت بالفصوص من الياقوت والفيروز والزمرد ولبسه السلطان دلالة على ملكه. ومن هنا كان اهتمام ابن خلدون بالختم ووضعه أياه مع شارات الدولة مثل البردة والقضيب عند العباسيين.

والختم إذا وضع في نهاية المكتوب دل على صحة ما تقدم من كتابة، اما إذا جاء في أوله فإنه يدل على أن المكتوب كله صادر من الجهة التي يرمز إليها بالختم. ولذلك كانت أختام العامة في نهاية المكتوب للدلالة على الأعتماد وحسب، بينما كانت أختام الدول في صدر المكتوب للدلالة على ملوكية الوثيقة ككل أولاً وعلى صحة المكتوب ثانياً. وهذه الصحة تأتي مستمدة من الصفة الأولى لأن السلطان عادة لا يوقع على مكتوبه.

وللختم جسم يعرف في اللغة الأنجليزية بلفظ (Matrix) ولفظ (Die)، ويمكن ترجمة اللفظين بالقالب أو مسطح الكتابة. ولفظ (Matrix) يطلق أيضاً على القالب الأساسي في آلة السبك التي يطبع بها على المسكوكات، كما يطلق على الجداول المقسمة إلى خانات أو خلايا (١٤). وأشكال الختم متنوعة. هناك الختم الدائري، وهناك الختم البيضوي، وهو دائري ولكن باستطالة إلى جانبين. وهناك الختم المربع والمستطيل والمخمس والمسدس والمثمن، وهنا قد تتساوى أبعاد الأضلاع أو تتفاوت. وبعض الأختام تأخذ شكل المثلث أو شكل الكمثرى.

ويتكون جسم الختم من طرف مسطح هو الذي عليه النقوش وهو الذي يترك أثره على المادة المختومة أو الجسم المختوم عليه، ومقبض يقبض به الجسم عند الاستعمال أما بالأصابع مباشرة أو بتدبير آلي. وقد يكون هذا المقبض خاتماً في الأصبع. وأحياناً يكون في المقبض خرم يربط به الختم على حبل أو خيط أو سير من الجلد أو سلسلة ويوصل طرفه الآخر برقبة صاحبه ليتدلى منها الختم أو بطرف سرواله أو كيس نقوده أو شئ يضمن بقاءه. وهنا ينبغي ألا نقلل من شأن حرص صاحب الختم على أن يكون ختمه في مأمن بعيداً عن كل يد خوف استعماله بغير ما أراد. وكانت أختام الملوك والحكام عادة توضع في كيس يحمله شخص منوط به فإذا احتيج إليه دفعه إلى صاحبه بعد أن يغمسه في حبر.

ويرد على هذا المسطح النقش والذي يعرف في الأنجليزية بلفظ (Intaglio) (١٥). وهذا النقش يتكون من عنصرين هما الألفاظ المكتوبة لتكون علامة أو سمتا والزخرف المصاحب لهذه الألفاظ لتكون حلية أو زينة أو لتكون هي الأخرى علامة للدلالة أو منعاً للتزوير أو المحاكاة. ويرد هذا النقش اما غائراً واما بارزاً، أما الغائر فيكون في المواد الصلبة، اذ عندئذ يسهل الحفر في حدود النقش بدلاً من حفر السطح كله لإبقاء جانب النقش بارزاً. والقاعدة في ذلك أن يعمق النقش تحت سطح المادة بحيث أذا غمس في حبر أو نحوه التصق الحبر بالسطح دون النقش، فإذا ضغط على ورق أو نحوه التصق به الحبر بينما يبقى ما يواجه النقش بغير حبر فيقرأ. أما البارز فيكون النقش فيه بارزاً فوق السطح، وأكثر أختام المطاط على هذا الوجه. فإذا عرض هذا الختم إلى حبر التصق الحبر بالنقش البارز فإذا طبع به ترك أثره المنقوش على الورق، بينما يبقى ما عداه على حاله. والختم الذي يضغط في شكل قالب ليترك أثره على جسم الورق يكون بارزاً، ومثله ختم رئيس جمهورية السودان الذي يوضع بضغط آلي على الورق.

ويستعمل لطبع الختم الحبر بأنواعه، وخاصة الثقيل منه لكي يبقى على الجسم دون الدخول في النقش، ويستعمل أيضاً قلم الكوبيا بعد أن يبل جسم الخاتم والمختوم. وتنتج المصانع الآن مادة خاصة للأختام. وقديماً كانت تستعمل مادة الشمع المصنوعة من شمع النحل ومادة صمغية، وعادة كان الشمع بلون أحمر، ولكنه أحياناً كان بلون أخضر، ويغلب الآن الأحمر. ومادة الشمع المستعملة الآن تسمى شيلاك، وهي مستعملة منذ القرن السادس عشر. وليس في شمع اليوم شيئ من شمع النحل (١٦).

وبعض الأختام تختم أي تطبع على جسم الوثيقة مباشرة مثلها في ذلك مثل الكتابة نفسها، وبعضها يكون مرسوماً على الجسم بمادة الشمع، وبعضها الآخر يكون مختوماً على جسم من الشمع يكون مستقلاً عن الوثيقة ولكن يكون مربوطاً بالوثيقة بخيط فيتدلى منها، وقد جرت عادة الغربيين أبان القرون الوسطى على الأختام التي تتدلى بخيوط، وبعضها الآن تشكل معضلة للمؤرخ لأنها انفصلت عن وثائقها ولا يعرف لها وضع يردها إلى أصلها.

والختام، أو الختامة، فيما يقول العامة، الطين الذي يختم به على قمة الشئ المراد أحكام قفله، وجمعه ختم. وكان هذا الطين يعرف في الدولة العباسية بطين الختم ويجلب من منطقة سيراف (١٧). ويمكن أن يطلق اللفظ على الشمع وعلى العلبة التي يكون بها مداد الختم أي (Stamp Pad).

ويغمس الختم في مذاق من المداد ويوضع على صفح القرطاس ويضغط بعد بل موضعه من القرطاس بلاً قليلاً. وكذلك يضغط الختم إذا طبع به على جسم لين كالشمع. وكانوا قديماً يضغطونه على الطين فيبقى عليه رسمه. وفي حالة الختام الحديث لا يبل القرطاس لأن حبر الختام به من الرطوبة ما يكفي.

والعادة أن يكون النقش على الجسم بالمقلوب ليكون الطبع باستقامة لأن الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش - مثل المرآة - أما إذا نقش على الجسم باستقامة فإن طبعه على الوثيقة يكون بالمقلوب. وأذكر أني وقفت على ختم للسلطان علي دينار سلطان دارفور (بغرب السودان)، وكان مكثراً من الأختام، صعب عليّ قراءة مكتوبه، وبعد أن أعياني أمره خطر على بالي أن يكون عندي مقلوباً لأنه كان في أصله مستقيماً، فاستعنت بمرآة سكرتيرتي، فتبين لي المكتوب وصح ما توقعته.

والمكتوب على الختم يكون بالوجه الذي يريده صاحبه، أما أن يكون مجرد علامة أو مأثوراً من القول أو اسم صاحبه، والبعض يضيفون إلى ذلك تاريخ الختم. وكل ذلك ما يمكن أن يعرف بالعناصر. أما الزخرف فيكون على هيئة حيوانات أو نباتات أو عربات أو محاريث أو آلات موسيقية أو خطوط أو أشرطة مسننة أو دوائر أو شكل حلقات أو تماثيل أو أهلة، ومنها هلال إلى أعلى وهلال إلى أسفل، أو أشكال دائرية أو مدببة أو كوكبات ذات رؤوس أو بزوايا أو زهرة متجهة إلى أعلى أو أسفل وإلى آخر ما تجود به عبقرية حفار الختم من رسوم وأشكال، وقد ذهبت الدول الآن إلى وضع رمز للدولة مع الكتابة. فأنظر في ذلك ختم رئيس جمهورية السودان، وختم رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً. وكانت أختام بعض الملوك تحمل صورهم مثل أختام سلاطين آل عثمان التي تحمل صورهم النصفية. وكانت أختام الملوك في القرون الوسطى تحمل

رسومات الملوك وهم جالسون على العروش أو حاملون شعائر الملك. ويمكنك الآن أن تقف على بعض ذلك في اللوحة التي ترد في دائرة المعارف البريطانية.(١٨) وقد ظهر هذا النوع من التدبير منذ القرن الحادي عشر. وكان الفرس والروم يضعون صورهم ورموز أديانهم في نقودهم، فبالإضافة إلى التمثال النصفي (Bust) وضع الفرس نارهم بينما وضع الروم الصليب.

والحاكم الإسلامي الوحيد الذي جعل رسمه في عملته هو عبد الملك بن مروان الذي اكتمل تعريب العملة الإسلامية على يده. وقد أخذ هذا التصرف على ما يبدو عن الروم والفرس، وربما كان تصرفه هذا محاكاة لعملتهم أو كان محاولة لتأكيد مفعول هذه العملة المستقلة التي تصدر عن الدولة الإسلامية لأول مرة بعد أن خرج عن دينار الروم السائد في الامبراطورية وفي بلاد الإسلام. وقد استنكر عليه المنشدون ذلك لأنه يذهب مذهب أهل الشرك. وعلى أي حال فإنه ابطل هذا التصرف ولم يعد إليه في عملاته الأخرى.

والمقصود من النقش بعنصريه هو اعطاء صورة تميز هذا الختم عن غيره وتعطيه مدلولاً معيناً وفريداً وتجعله بمنأى عن المحاكاة.

ويقسم الحفار المسطح بحيث يوزع الكلمات ويحيطها بالزخارف في اطار الحيز المتاح له، ويتجه البعض إلى وضع خطوط أفقية لتتم الكتابة بينها. واحياناً يجعل الحفار للختم مركزاً في الوسط ويضع فيه الطرف الرئيسي من المكتوب ثم يجعل حول ذلك طوقاً أو هامشاً يكتب فيه أيضاً بعض ما يريد. وهو يضع في الغالب خطاً أو خطوطاً تتفرع عنه رؤوس حربة في طرف الختم على شكل نطاق. ويتوقف وضع الكلمات والنقوش على مقدار المسطح والكلمات التي يراد نقشها وعلى ذوق الصانع وطريقة تصرفه بالحروف. ويتصرف الحفار في ترتيب الكلمات وفي رسم الحروف فيجرها أو يقتصد في مدها أو يتصرف في أبعاد الحروف واتجاهها صعوداً ونزولاً. فقد اتخذ لذلك الخط الكوفي لما أن زوايا هذا الخط اسهل حفراً من الخط الدائري.

ومن حيث أنه عمل يؤدي بأصول وذوق فإن للختم جانباً فنياً يمكن أن يعتني به بقيم على الأسس الجمالية البحتة، أي بصرف النظر عن المحتوى وعناصره. وقد ذكر مؤرخو الأختام ان فن صناعة الأختام كان يصعد وينخفض من عصر إلى آخر. وهم يقولون إنه بلغ أوجه في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقيل أن أشهر صانع للختم وأدقه عملاً في تاريخ الإسلام هو التن الذي عمل في بلاط تيمور(١٩).

والشخص الذي يقوم بالنقش على الختم يسمى حفاراً. وقد سماه قانون الأختام السوداني ناحتاً، وهو ترجمة للإصطلاح الأنجليزي (Engraver) (٢٠). ويستعمل الحفار مثقباً وعجلة. وهو إما أن يحفر على جسم جاهز، كما هو الحال الآن بالنسبة للأختام النحاسية الشائعة، فيقتصر جهده على النقش، وإما أن يعد الجسم بنفسه ويحفر عليه. وكانت بعض أختام السودان مصنوعة بأيدي الحدادين محلياً، وبعضها كانت تأتي من مصر. وهناك دليل مباشر واحد على الأقل للأختام المستوردة من مصر، إذ أن الرحالة براون يخبرنا بخبر ختم أحد سلاطين الفور الذي نقش في مصر وحمل إليه مع القوافل.

ويورد المستشرق ج. ألان فقرة طويلة عن صانعي الأختام في تركيا العثمانية، ونحن نوردها هنا لأهميتها: «وقد فصل تشارلس هوايت القول في استخدام الأختام بين الترك وبين طائفة الحفارين في القسطنطينية، فذكر أنه كان للحفارين حي خاص في السوق يعرف باسم جكاكلر جارشيسى نسبة إليهم. وكان أفراد هذه الطائفة من المسلمين على خلاف من يشتغلون في الأحجار الكريمة فقد كانوا عادة من اليهود وكانوا على قسط من التعليم ويعرفون العربية والفارسية والتركية تمام المعرفة. وقل منهم من كان (لا) يعرف الخط الكوفي. ومدة تعليمهم طويلة، فقد كان صبيان هذه الصنعة يتلقون أولاً قسطاً حسناً من التعليم، ثم يحضرون دروساً في الخط على أحسن خطاطي عصرهم، ثم يلتحقون بعد ذلك بخدمة حفار ماهر ويظلون في خدمته سبع سنوات، ويصبحون بعد انتهاء مدة تدريبهم (تالفة) ويظلون على تلك الحال إلى أن يصيبوا عملاً يقومون به بأنفسهم ويسمح لهم بالإنتساب إلى رجال الطائفة بصفتهم حفارين مهرة (اسطى).

ولا يتجاوز عدد أفراد هذه الطائفة خمسين، ويقوم رجال الشرطة بالتفتيش على حوانيتهم بانتظام خشية أن ينزلقوا إلى استغلال مهاراتهم في أعمال غير مشروعة كحفر العملة المزورة. وكانت تبذل عناية كبيرة للاستيثاق من أن الخاتم صحيح أصيل، وإذا فقد حرم على رجال هذه الصناعة أن يحفروا خاتمين على شكل واحد لشخص بعينه. وإذا فقد شخص خاتمه فإنه يغير خاتمه الجديد تغييراً طفيفاً كأن يغير في حليته أو تاريخه حتى يمكن الكشف عما يحدث من زيف إذا ما وقع خاتمه المفقود في يد شريرة.

ويرجع حفارو استانبول تاريخ فنهم إلى عهد الخليفة عثمان، ويقولون إن أول حفار كان يدعى محمد الحجازي، وقد حفر هذا الرجل أختاماً لعثمان وعلي عليها أسماؤهم مشفوعة بالكنية عبد الله. أما الأختام فكانت من الفضة وفصوصها من حجر الدم.

ورواية هوايت عن أختام سلاطين الدول العثمانية ورجالاتها مستقاة من دوسون، فقد كان للسلطان ثلاثة أختام مختلفة جميعها من الزمرّد المركب على الذهب، وعليها كتابة واحدة هي الطغّراء وقول ديني مأثور. والخاتم الأول صغير الحجم يحمله السلطان دائماً، وهو يناوله إلى كاتب سره عند الحاجة، والثاني أكبر من الأول بقليل، وكان في عهدة أمين الحريم يستخدمه في جميع الأمور المتعلقة بالحريم. وكان لأكبر امبراطور المغل خاتم خاص يمهر به جميع الوثائق المتعلقة بالحريم.

أما الختم الثالث في عهد العثمانيين فهو خاتم الدولة، و كان في عهدة الصدر الأعظم، وكان المفروض أن يحمل هذا الخاتم بين طيات صدره ليل نهار. وكان لدى كل رئيس مصلحة حكومية خاتمه الخاص يستخدمه في الشئون الخاصة بمصلحته.(٢٢)

الفصل الثاني

تاريخ الختم:

لقد تقدّم أن الإنسان عرف الختم في غابر الزمان، وأن ذلك كان قبل الميلاد بقرون، وأن ظهور الختم في حياة الإنسان كان أسبق من ظهور الكتابة. ويدرك من ذلك أن سبب ظهور الختم لم يكن تأكيد الوثائق كما هو المعهود الآن في أختام الوثائق وإنما كان على ما سيظهر فيما يلي التأمين على الممتلكات، ولذلك ظهر الختم أول ما ظهر على فوهات الجرار، فلما حرر الإنسان الوثائق وضع عليها الختم للتأمين على صحة ما بها إنسياقاً من الاستعمال الأول، وقد أختلف شكل الختم فصار منبسطاً أو اسطوانياً حسب المادة التي يراد ختمها، إذ المنبسط يسهل على الورقة والجلد والبردي بينما يناسب الأسطواني الفوهات لسهولة الدحرجة حولها.

ويقال إن الختم ظهر أول ما ظهر في بلاد ما بين النهرين وأنه انتشر منه إلى البلاد المجاورة ثم شاع مع الزمن على نطاق العالم القديم. وكان أول ما ظهر منه الختم المنبسط وهو ختم مستقيم السطح، وكان كما هو متوقع ساذجاً من حيث الصنعة. ولكنه أخذ يتطور ويتحسن، وعلى ما يقال في بعض الأقوال فإن ظهوره كان في الألف السادس قبل الميلاد أو قبله بقليل. وفي أقوال أخرى إنه ظهر في الألف الخامس، ثم ظهر الختم الاسطواني، وهو يتميز بسهولة دحرجته على الطين مع دوران فوهات الجرار. وكان ظهوره حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد فيما تذهب بعض الروايات. وفي خلال الألف الرابع شاع استخدام الختم الأسطواني وقل استعمال الختم المنبسط. وقد ظل هذا الختم سائداً حتى القرن الرابع قبل الميلاد. ثم عاد المنبسط شيئاً فشيئاً وكثر استعماله بجانب الختم الأسطواني ثم احتل محل الأسطواني كاملاً في القرن الثالث قبل الميلاد.(٢٣)

وقد لازم هذا التطور المثير أغراض الختم، ففي مبدأ الأمر كان الغرض هو التأمين على الممتلكات بوضع الختم على الطين الذي يوضع على فوهات الجرار وعلى الأسبتة والأبواب بغرض منع اعتداء المغيرين. وقد شاع ذلك بالخصوص خلال الألف الثالث قبل الميلاد. وكانت العادة وضع قطعة من القماش أو الجلد فوق الفوهة وربطها بخيط يحيط برقبتها، وفوق هذا الوثاق يوضع طين رطب ثم يدحرج الختم الأسطواني في كل الجهات فلا يتم عبث العابثين إلا بكسر الختم.

ومثل هذا التصرف شائع إلى اليوم في بلاد النوبة بالسودان في تركيب صوامع الطين، وقد سبق ذكر ذلك من قبل ولا نعيده.

وقد أستعمل الختم أيضاً لختم الرقم الطينية فنقشت السجلات ووضعت عليها الأختام قبل تجفيف الطين أو حرقه. وكانت البضائع تلف بحصيرة أو سجادة ثم تربط بحبل أو تغطى العقدة أو الحبل بالطين الرطب ثم يدحرج عليه الختم.

لقد كان ذلك في بلاد ما بين النهرين وهو مهد الختم كما قلنا. ومنها انتشر الختم وشاع في البلاد المجاورة كسوريا ومصر والأناضول. واضافة إلى الآثار المكتشفة فإن هناك روايات كثيرة تروى عن الأختام في التاريخ القديم، ففي سفر التكوين أن فرعون أعطى يوسف عليه السلام ختمه دليلاً على السلطة التي أعطيت له. (٢٤) وفي سفر الملوك الأول أن جزبيل زور كتاباً باسم اهاب وختمه بخاتمه لكي يكسبه الصفة الشرعية. (٢٥) وهو ما صنعه مروان بن عبد الحكم بختم عثمان بن عفان في خطابه المشهور إلى عبد الله ابن أبي سرح، ويذكر هيرودتس، أبو التاريخ، أن كل بابلي كان يحمل ختماً (٢٦). وقد استعمل الفرس الختم في تاريخهم القديم ويقال إن بعض أختام العهد الساساني ما تزال موجودة الآن في المتاحف.(٢٧)

وقد انتشر الختم في الغرب واتخذه الملوك للتوثيق إلا أن عادة استعماله قد هبطت بعد سقوط الأمبراطورية الرومانية نتيجة للفوضى التي عمت الغرب.(٢٨) ولكن البابا وأعوانه في الأقاليم ظلوا على استعماله، وكذلك قلة من الملوك. فلما جاءت النهضة عادت الدول إلى الختم. (٢٩) وقد اتخذوه على منوال أختام الكنيسة كما اتخذوا أيضاً قواعد تحرير المحررات على منوال تحرير محررات الكنيسة. ولذلك ترى الأثر الكنسي ظاهراً في تحرير المحررات. وقد ظلت العناية بالختم واستعماله تزداد في الغرب مع مرور الأيام حتى بلغت صناعته أوجها في القرن الرابع عشر (٣٠).

وإذا ما اتجهنا إلى مصر، وهو البلد الذي يجاور السودان ويرتبط به تاريخياً، فإننا نجد شواهد تدل على قدم الختم بها. وقد سبق ذكر ختم فرعون الذي

أعطى لسيدنا يوسف عليه السلام. وعلى ما يقال فإن الختم قد ظهر في مصر في الألف الثالث قبل الميلاد أو قبله بألف آخر. ثم جاء بعده الختم الأسطواني. وعلى ما تدل الآثار المصرية فإن ختم الجعران قد أعقب المنبسط في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد. وقد ظل هذا النوع سائداً في مصر حتى أدخل الرومان ختم الخاتم (Signet ring)، والذي غطى ما عداه.

وإذا ما كانت بلاد النهرين قد اشتهرت بالأختام المطبوعة على الطين فإن مصر قد اشتهرت بأختامها على ورق البردي. وعلى ما يعتقد فإن مصر قد عرفت الأختام علي البردي منذ الألف الثالث قبل الميلاد (٣١). ولكن الآثار الباقية لا تذهب أبعد من أواخر الألف الأول قبل الميلاد. وكانت الطريقة هي لف البضاعة في شكل أسطواني ثم ربطها في منتصفها ثم ختمها بالطين في موضع الربطة. وقد استمرت هذه العادة حتى العهد المسيحي.

وقد عثر المنقبون في مصر على أختام مصنوعة من الخشب يرجع تاريخها إلى عصر الأسرة الفرعونية الأولى، أي قبل أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد وجدت هذه على فوهات الجرار الفخارية التي كانت تستخدم لحفظ الخمور والعسل، وكانت تحمل اسم صاحبها باللغة الهروغلوفية على هيئة إنسان جالس. وواضح أن وضع الختم على الجرة كان لتأكيد ملكية صاحبها وحفظاً لها من الضياع أو السرقة وهو نفس ما لا حظناه إزاء أختام جرار بلاد ما بين النهرين وازاء علامة النوبيين على صومعة الغلال.

وكان الخشب أول ما استعمله المصريون في صناعة الأختام. وكانوا يضعون على الأختام الرسم الذي يدل على الاسم أو العلامة. وكانوا يضعون الختم على الجرة بعد طليها وهي نيئة ثم يحرقونها بالنار فيبقى نقش الختم عليها ظاهراً. وبذلك يكون الختم جزءاً من الجرة ولا يمكن ازالته أو محوه. وكان المصريون يصنعون الأختام أيضاً من الحجارة. وفي وقت لاحق صنعت الأختام المصرية من الذهب والفضة. وقد وجدت نماذج من الأختام ترجع إلى مصر الفرعونية وإلى السودان القديم. وكان المصريون يستعملون لطبع الختم على الورق مواداً تصنع من السكن وتضاف إليها مادة الصمغ والماء. وهذا لا يبعد كثيراً عن المداد البلدي

المعروف عندنا. إلا أن المصريين عرفوا من الأحبار ما يبقى اليوم على رسوماتهم وكأنه قد خطّ اليوم.

وكانت أقدم الأختام المصرية على الشكل الأسطواني. وكان يخرم بخرم في طرفه ويربط بخيط رفيع من الكتان ليسهل حمله حول اليد أو ليربط على الرقبة أو في وسط الإنسان. وكان هذا الختم يدحرج على الجسم الذي يراد ختمه، وقد وجد أثر هذا الختم على طول تاريخ وادي النيل قديماً.

وهناك نوع آخر من الختم في السودان ومصر، وهو ختم الجعران.

وهناك الختم الذي على هيئة الزرار موصولاً بمقبض وهو الشكل المتعارف الآن. وكان يربط بخيط ويلبس حول الرقبة. وكان الختم يزين بأشكال وصور على هيئة ضفدعة أو أسد أو قرد أو ضب وما إلى ذلك.

أما عن العرب فقد ذكر أن الحميريين في بلاد اليمن خلفوا نماذج متعددة من أختامهم (٣٢). ولا بد أن عرب الحجاز قد عرفوا عن الحميريين آختامهم، ولا بد أنهم عرفوا أيضاً أختام الفرس والروم وذلك بحكم اتصالهم بهذه البلاد في رحلاتهم التجارية. أما هم أنفسهم فليست لدينا معلومات مباشرة عن استعمالهم للختم قبل الرسالة المحمدية. ولكن المرء قد يتصور علمهم بهذا الأمر من واقع اتصالاتهم ومن واقع معاملاتهم التجارية والتي تستلتزم الإنضباط في التعامل وتدعو إلى استعمال الختم. وليس مستساغاً أن نرفض استعمال عرب الحجاز للختم قبل الإسلام اعتماداً على جهلهم بالكتابة، إذ أن الجهل بالكتابة مدعاة في واقع الأمر إلى استعمال الختم لعدم القدرة على الإمضاء.

وحين جاء الإسلام فإنه سمح ببعض ما كان متعارفاً في الجاهلية بينما حرم البعض، وكان الختم بين ما سمح به. ولكن ينبغي هنا أن نحتاط لبعض الأمور. فالإسلام أباح بغير شروط استعمال الختم لتأمين الوثائق، وقد استعمل النبي وخلفاؤه الختم لهذا الغرض. ولهذا قبل الختم كأداة للتوثيق بغير تردد. أما الأمر الثاني فهو النظر في الختم باعتباره ختماً مستقلاً للطبع أو باعتباره ختماً ملتصقاً بخاتم الأصبع، وذلك لأن الإسلام وضع شروطاً حول ما يتخذ حلية وحول ما لا يتخذ. الأمر الثالث متصل بالأمر الثاني وهو نظرة الإسلام للمعادن وجواز استعمالها لأغراض الإنسان.

ومن الثابت أن النبي قد لجأ إلى استعمال الختم في وقت مبكر من تاريخ دعوته للتأكيد على مكتوباته جرياً على عادة الملوك حتى تعتمد محرراته لديهم (٣٣). فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي أراد أن يرسل كتباً إلى الروم فقيل له أنهم لا يعتمدون كتابه ما لم يكن مختوماً فأتخذ لنفسه ختماً وطبع به على محرراته. ويقول المسعودي انه اتخذ هذا الختم في المحرم من السنة السابعة للهجرة. وعلى العموم فيمكن التأكد من تاريخ هذا الختم من واقع مراسلات الرسول للروم والفرس والمصريين. ويذكر الطبري أن النبي أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام فقال له رجل إنهم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فأمر بأن يعمل له خاتم.

هكذا جاءت مناسبة اعداد ختم الرسول والذي أجاز أن يتخذ حكام المسلمين أختاماً يمهرون بها مكتوباتهم.

وعلينا الآن أن نسأل هل كان هذا الإعرابي يقترح أمر الختم ثم يأخذ الرسول باقتراحه إن لم يكن الختم معروفاً في مجتمع الحجاز! وهل كان من الممكن تدبير ختم للرسول بهذه السرعة ما لم يكن أمره معروفاً عند الحجازيين! إن من الواضح من هذه الواقعة أن الحجازيين قد عرفو الأختام وأنهم مارسوها في التوثيق، ولم يكن الخبر الذي يروى إلا لتأييد استعمال الرسول لأداة كانت متعارفة في المكاتبات الرسمية.

وعن المادة التي صنع منها ختم الرسول ترد بعض الروايات (٣٤). ففي تاريخ الطبري أن أول خاتم للرسول صنع من الحديد فجعله النبي في أصبعه «فأتاه جبريل فقال له انبذه من اصبعك فنبذه فصنع له من نحاس فأمره جبريل فنبذه فأمر بخاتم من ورق فأقره جبريل». ومعنى الورق هنا هو الفضة. وكما ترى فإن الأمر انتهى إلى خاتم من الفضة اتخذه النبي وأقره عليه جبريل.

وروى ابن خلدون نقلاً عن الصحيح أن النبي أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له أن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً فأتخذ خاتماً من الفضة، وهنا نجد خاتم الفضة وحسب، ولا يرد خبر خاتم النحاس وخاتم الحديد، وجاء في رواية أن ختم الرسول كان من الحديد المظفور المطلي بالفضة.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية نقلاً عن البخاري أن النبي اتخذ في بادئ الأمر خاتماً من ذهب ولكنه نبذه عندما نهى عن الأختتام بالذهب ولبس الحرير والمطرزات. وفيما تروى دائرة المعارف الإسلامية فقد روى عنه أنه قال: «إن الخاتم النحاسي يشم منه رائحة الوثنية والخاتم الحديدي يرمز إلى النفوس المخلدة في نار الجحيم، بينما لا تستطيع الكلمات أن تعبر عن فزعه عند رؤية الخاتم الذهبي».

وهذا يفضي بنا إلى بيان الحكم الشرعي أزاء المعادن التي تصنع منها الأختام (٣٥). إن رجال الشرع لا يثيرون قضية حول المدلول التوثيقي للختم للوصول إلى جوازه أو منعه، لأن ذلك أمر مسلم به، وإنما ينظرون إليه من جانب لبسه في اليد في إطار التزين ومن جانب المادة التي يصنع منها بمقتضى النظر إلى المعادن الكريمة والمعادن المحرمة. فالختم يصبح من ضرورات السلطة والأداء الرسمي بغرض التأكيد والتأييد، وقد أخذ به الرسول على هذا الوجه وأيد به رسائله. ثم تبعه الخلفاء الراشدون ثم من جاء بعدهم من حكام الإسلام. وهكذا يأخذ الختم وضعه الشرعي من الحاجة إلى التأييد باعتباره شاهداً.

أما اللبس فيكون عند نقش الختم على الخاتم الذي يوضع في الأصبع، وقد صرح الشرع بذلك لأن وضعه على هذا الوجه يجعله في متناول صاحبه على الدوام ويؤمنه من الضياع والسرقة. وقد أصبح ذلك سنة بعد أن جعل الرسول خاتمه في أصبعه. ولكن المذاهب تختلف في التفاصيل. فالمالكية ذهبوا إلى أنه يستحب وضعه في خنصر اليسار ويكره في اليمين. والأفضل عند الشافعية لبسه في خنصر اليد اليمنى. ويرى الحنفية وضعه في خنصر اليد اليسرى مع جواز وضعه في اليد اليمنى.

أما عن المادة فقد حرم الشرع على الرجل والمرأة استعمال الذهب والفضة إلا في حالات منها التزين بهما بالنسبة للنساء والختم بالفضة بالنسبة للرجال والنساء. والتختم بالذهب حرام مطلقاً. أما التختم بالفضة فهو سنة لأن الرسول تختم به، ويشترط في هذه الحالة ألا يزيد الوزن عن وزن خاتم الرسول وهو درهمان كما يشترط أن يكون الختم بغرض الاقتداء لا بغرض التزين، وقد ذهب

الشافعية إلى جواز التختم بالفضة بشرط ألا يزيد عن ختم الرسول وزناً وعداً ومحلاً. والحنفية اشترطوا أن يكون الخاتم كخاتم الرجال لا كخاتم النساء. وقد أشرنا فيما سبق إلى خاتم عائشة رضي الله عنها واعتبارنا أن تزين المرأة بالذهب لم يحرم بأثر مباشر.

وقد اختلفت المذاهب حول شرعية المموه، وهو المتخذ من معدن غير معدن الذهب أو الفضة ثم يطلى بهما، وحول المغشى، وهو ما صنع من ذهب أو فضة وطلي بالرصاص أو النحاس. فقد كره المالكية والحنفية التختم بالحديد والرصاص والنحاس بينما أجازه الشافعية بغير كراهة. وهناك خلاف بين المذاهب حول العقيق. وقد أورد تاج العروس للزبيدي بتحفظ حديثاً عن الرسول يقول: إن التختم بالياقوت ينفي الفقر، أي يريد به إذا ذهب ماله باع خاتمه فوجد الغنى.

وقد اختلف حول مكان الخاتم في اليد، أيكون في اليد اليمنى أم اليسرى وفي أي الأصابع يلبس. ويبدو أنه ليست هناك قاعدة موضوعة لذلك.

وقد اقتصر النقش في ختم الرسول على ثلاثة سطور، وكان نصه: محمد رسول الله: وقد وضع اسم الجلالة أولاً، إذ لا يقدّم عليه اسم آخر، ثم وضع لفظ الرسول دلالة على أهمية الرسالة النبوية، ثم جيئ باسم الرسول. وهكذا يكون النص حسب ترتيب الكتابة (الله، رسول، محمد)، ولكن عند القراءة يقرأ بالترتيب المعاكس (٣٦). وعلى ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية فإن النبي كان يضع خاتمه في يده اليمنى، وكان يخلعه عندما يذهب إلى بيت الخلاء(٣٧).

ولا بد أن نلحظ هنا أن الختم اتخذ وجهاً عربياً منذ بدايته على يد محمد، وهذا بخلاف العملة، إذ أن استعرابها قد تم على مراحل حتى اكتمل في عهد عبد الملك بن مروان وأخذ شكله العربي الإسلامي الذي صار عليه.

ولما توفي الرسول اتخذ الخلفاء أختاماً خاصة بهم ليختموا بها محرراتهم ولكن أبا بكر وعمر وعثمان جعلوا ختم الرسول في أصابعهم تبركاً به، وليس هناك ما يدل على أنهم وضعوا ختم الرسول فعلاً على مكتوباتهم، وقد سقط هذا الختم عن يد عثمان في بئر، قيل عند أريس أو في بئر زمزم في نهر دجلة

بالقرب من الموصل. ولكن أغلب الروايات تذهب إلى أنه سقط في بئر أريس وقد ذكر الطبري ذلك في تاريخه وقال إن ذلك كان سنة ٣٠هـ، وأن هذا الموضع على بعد ميلين من المدينة.

وقد ذكر نفس المصدر أن النبي كتب به إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وإلى هرقل ملك الروم الخ، ثم قال إن عثمان قعد على رأس بئر أريس فجعل يعبث بالخاتم ويديره بأصبعه فانسل الخاتم من أصبعه ووقع في البئر. وقد طلبوه فيها ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه عثمان مالاً عظيماً لمن جاء به واغتم لذلك غماً شديداً. فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر صنعه على مثاله من الفضة، وجعله في أصبعه حتى قُتل، فلما قُتل ذهب الخاتم من يده ولم يعرف من أخذه (٣٨).

وقصة خاتم عثمان بن عفان، الذي ختم به مروان بن عبد الحكم على رسائل من عنده كتبها باسم عثمان، وموقعه من الفتنة الكبرى معروفة ومشهورة ويكفي هنا أن نروي مختصراً لها لما لها من المناسبة بموضوعنا.

كان أهل مصر، والمقصود بهم العرب الذين نزلوا بها، قد تضرروا من عاملهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وهو من بني أمية وعد من بطانة بني أمية السيئة مع عثمان. وقد ولاه عثمان أمر مصر بعد أن رفع عنها عمرو بن العاص. وكان عبد الله أول والٍ للإسلام في مصر يرسل غزوة إلى السودان تصل حتى دنقلا، وفي زمنه كان وفاق البقط المشهور بين الغزاة المسلمين وبين النوبة. وهو لذلك يحتل موقعاً مهماً في بواكير العلاقة بين مملكة النوبة وبين المسلمين. وعلى أثر تضرر المتضررون منه كتب إليه عثمان كتاباً يتهدده فأبى أبي سرح ما نهاه عنه وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان فقتله. وعلى الأثر توجه عدد كبير من المصريين إلى المدينة ونزلوا في مسجدها يشكون من واليهم وما كان من أمره. وجاء توافقاً أهل الأمصار من البصرة والكوفة متضرريين من ولاتهم. وكان في قلوب البعض ما فيها، مثل بني هزيل وبني زهرة لما لحق بعبد الله بن مسعود، وبني غفار وأحلافهم لما لحق بأبي ذر الغفاري، وبني مخزوم لحال عمار بن ياسر. وكان أهل المدينة في حرج من هنات عثمان فيما قالوا وما تفعله بطانته ومما يسمعونه من أهل الأمصار وبات كبارهم في ضيق وضجر.

وبعد مطارحة شديدة وتدخل بعض كبار الصحابة عزل عثمان عامله ابن أبي سرح من الولاية، وولى مكانه محمد بن أبي بكر الصديق بعد أن أختاره المصريون، ومن ثم انفض المصريون راجعين. ولما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذ هم بغلام أسود علي بعير يركض به ركضاً، فأمسكوا به ووجدوا عنده كتاباً إلى أبي سرح على لسان عثمان وعليه ختمه. وكان الغلام غلام عثمان - أبو الأعور بن سفيان السلمي، كما كان البعير بعيره، وقيل كان من بعيره الصدقة عنده. وقد طلب الكتاب أن يقبض أبو سرح على الجماعة فيقتل بعضهم وبعضاً يقطع ارجلهم وأياديهم من خلاف. وكان محمد بن أبي بكر قد أحضر جماعة قبل أن يفض الكتاب، فلما اطلعوا عليه طلب فوضعوا عليه أختامهم. ولعلك تلحظ هنا موضع هذا الختم إذ به اثبات هذه الواقعة حتى لا يقال بأن الكتاب قد وضع بآخرة. أو أنه قد اضيف إليه، وهو يثبت شهادة أصحاب الأختام على الواقعة كلها.

وقد عادت الجماعة إلى المدينة ونشروا بين الناس ما كان من أمرهم ولاحقوا كبار الصحابة. وقد تبين أن الكتاب قد دس على عثمان، إذ كتبه مروان بغير علمه وختمه بختمه وأرسله مع غلامه على بعيره بغير علمه أيضاً. ولكن بعض الناس شق عليهم أن يبلغ الأمر بعثمان هذا المبلغ فيدس عليه لغفلته وأن يهدر دم المسلم بمثل ما طلب الكتاب. وقد طالبوه بمروان فأبى به عليهم وكان من أمره أن قتل دونه (٣٩).

وقد اتخذ الخلفاء الراشدون ومن جاء من بعدهم أختاماً(٤٠). وكان في ختم لأبي بكر الصديق: نعم القادر الله، وفي ختم لعمر بن الخطاب: آمنت بالله مخلصاً، وفي ختم آخر له: كفى بالموت واعظاً يا عمر. وفي ختم لعثمان بن عفان نقش: لتصبرن أو لتندمن، وفي ختم آخر له: آمنت بالذي خلق فسوى. وفي ختم لعلي بن أبي طالب: الله الملك الحق، وفي ختم آخر له: نعم الله، وفي ختم ثالث: الملك لله الواحد القهار. وفي ختم لعمر بن عبد العزيز: عمر بالله يؤمن مخلصاً. وفي ختم لهارون الرشيد: بالله يثق هارون. وفي ختم للوليد بن عبد الملك: يا وليد أحذر الموت. وهكذا ترى أنهم نصوا في نقوشهم على أمرين:

الاسم والمأثورة. وغالباً ما كانت الأسماء مسبوقة أو مصحوبة بالإلفاظ الدالة على العبودية أو التواضع والكنى والألقاب والوظائف، مما يصير مادة للدراسة ومصدراً للألقاب والكنى والوظائف. وهذان العنصران أي الاسم والمأثورة - هما أهم ما في نقوش الأختام الإسلامية. وقد يضاف إلى ذلك التاريخ والذي قد يدل على تاريخ النقش أو أية مناسبة أخرى. ثم هناك الزخرف والذي يأتي شكله حسب مزاج الحفار، وقد نقش الحفارون المسلمون أوراق الشجر والأزهار والأهلة والكواكب والتنين والحبال المظفورة. وكان في ختم عمرو بن العاص شكل ثور، وكان في خاتم قره بن شريك رسم ذئب. وقد نقش في ختم علاء الدولة الكاكوبي صورة فارس وأن كان ذلك في الوجه الآخر لختمه ذي الوجهين. ولكن الغالب أن الحفار لا يكثر من الأشكال والصور لأن الإسلام يكره ذلك. وكثيراً ما اقتصرت الأختام الإسلامية على الدوائر التي ترد كحلية للكتابة أو الخطوط التي تفصل بين السطور مع قليل من الأهلة لملء الفراغات.

وأغلب ما كان على الأختام الإسلامية القديمة من النقوش مأخوذ عن كتب التاريخ لأن الأختام نفسها فقدت مع مر الزمن ولم يبق منها إلا القليل. ولعل أقدم ختم إسلامي عثر عليه هو ختم عمرو بن العاص وختم هارون الرشيد وختم المهدي ابن أبي جعفر المنصور (٤١). وهناك عدد أكثر من الأختام كلما اقترب الزمن إلينا. ويلاحظ أن بعض أختام العصور المتأخرة في مصر والشام وآسيا الصغرى ضمت نقوشاً باللغة اليونانية، بالإضافة إلى العربية، ولا بد أن ذلك كان بنفوذ البيزنطيين، كذلك ظهرت الأختام ذات الوجهين والتي تحمل النقش العادي من وجه بينما تحمل من الوجه الآخر بعض الرسومات.(٤٢)

ولم يقتصر اتخاذ الختم الرسمي على الخليفة والسلطان بل أن بعض معاونيهم كانوا يحملون أختاماً رسمية تعتمد بها أعمالهم، مثل الأمراء والولاة والقضاة. وكان بعض السلاطين يتخذون عدة أختام ويجعلون لكل ديوان ختماً، كأن يجعل لديوان الرسائل ختماً، ولديوان الحريم ختماً، وهكذا.

وكان للسلطان العثماني ثلاثة أختام مختلفة الحجم من الزمرد المركب على خاتم الذهب، وعليها الطغرا والمأثورة الدينية، وكان الخاتم الأول هو ما يستعمل

للمحررات وكان صغير الحجم ويحفظ عند كاتب السر. وكان الثاني عند أمير الحريم لإستعماله في شئون إدارته. وكان للأكبر أمبراطور المغل أيضاً ختم خاص لهذا الغرض. وختم السلطان العثماني الثالث هو خاتم الدولة والذي كان في عهده الصدر الأعظم. وكان لأمناء الدواوين الأخرى خواتم تعتمد بها أعمالهم. وقد جرت العادة على ألا يكون الختم على الخاتم بحيث يكون في اليد وإنما بمقبض، وكانوا يضعون الختم في الأكياس أو يربطونه بخيط إلى الجسم. وكان الختم هو أداة التأييد الوحيدة عند العثمانيين وقد قل منهم من كان يوقع على المحررات باليد. وقد كثر عندهم استعمال الطغرا والذي شاع في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، وهي علامة توضع في صدر المكتوب للدلالة على صفة الحاكم الذي يصدر عنه المكتوب. وقد تفنن الكتّاب في رسم الطغرا وبلغ البعض في ذلك شأواً عظيماً من المهارة والفن(٤٣).

ولا يختلف الختم عند الفرس كثيراً عن ختم الترك من حيث تعدد الأختام واقتصار كل ختم لإدارة معينة ومن حيث تعيين موظف خاص لحمله. وبعض أختام الأتراك والفرس معروفة بالوصف الذي يرد في الكتب وبعضها بالرسم وبعضها بأجسامها المحفوظة بالمتاحف. وكذلك الحال بأختام مصر الإسلامية والولايات الأخرى.

الفصل الثالث

الوثيقة العربية في السودان (٢٤):

جاءت الوثيقة العربية إلى السودان مع قدوم العرب. ومن الواضح أن المصادر العربية لا تشير إلى أية وثيقة عربية كتبت في السودان قبل قدوم العرب المسلمين. ويمكننا أن نفترض أنه كان بين العرب القادمين من كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه كان بينهم القراء والفقهاء والمتصوفة والمبشرون مثل ما كان هناك المنقبون عن الذهب والباحثون عن المجد والثراء في مراعي السودان ومناجمه. ولا يحتاج المرء إلى كبير عناء ليعرف أمر التدويين في مناجم الذهب أو ليتصور أن من بين المهاجرين من مارس تعليم الصبية، فيما عرف فيما بعد بالخلوة - وتحفيظ كتاب الله الخالد الذي بلغ به العرب ما بلغوا من المجد والسمو.

وكان أول مجئ العرب إلى بلاد النوبة وهي بلاد لها حضارة عميقة الجذور، وقد عرف أهلها التدوين منذ فجر التاريخ وخطوا بالهيروغلوفية والمروية وبلغات أخرى وطوعوا أحرف اللغات الأجنبية التي كتبوا بها لتكون ناطقة بمخارج لسانهم، كما ابتدعوا حروفاً جديدة لأصواتهم الخاصة مما ينهض دليلاً على تمكنهم من أمر الكتابة وعلى أنهم لم يكونوا مجرد تبع لما يأتيهم. وقد بينت لنا آثارهم المكتشفة بعض ما دونوا وبعض ما نقشوا على الحوائط.

ولعله قد بلغك أمر البقط الذي أبرم بين النوبيين وبين أول الغزاة المسلمين في عام٣١ هجرية، وهو فضلاً عن أنه - فيما أعلم - أول ما كتب بين العرب والنوبة دليل على أن الجانبين قد أطمأنا إلى عهد يكتب وعلى أن النوبيين قد عرفوا تدوين الأمور المهمة في شكل وثائق مكتوبة وأنهم كانوا يعتمدون الوثائق. وبعد هذا الحادث المهم لا نسمع شيئاً عن وثيقة عربية كما أننا لا نسمع عن مراكز علم أو مرابط دراسة إلا في عهد متأخر.

ثم جاء غلام الله بن عائد في منتصف القرن الرابع عشر في بعض الأقوال أو في منتصف القرن الخامس عشر في أقوال أخرى ووضع أساس مدارس العلم

التي يقصدها الطلبة بعد أن يتلقوا مراحل التعليم الأولى ويكملوا حفظ القرآن. وفي القرن السادس عشر أنشأ إبراهيم بن جابر البولاد مدرسة للعلم في بلاد الشايقية، وعلى ما تذكر الروايات فإن هذه المدرسة كانت بداية سلسلة من المدارس العلمية والتي كانت تتجه على الدوام نحو الجنوب.

وكانت هذه المدارس على قدر عظيم من الأهمية لأنها دعمت الثقافة العربية الإسلامية وعززتها، وقد تخرجت فيها أعداد هائلة من المتعلمين، وكان هؤلاء يرجعون إلى القرى التي أتوا منها أو يلحقون بمواطن جديدة ليجعلوا ما تلقوه من العلم ميسوراً لغيرهم. بعضهم افتتح المدارس لتحفيظ القرآن وبعضهم لتدريس العلوم، وبعضهم انضم إلى الحركة الصوفية مؤثراً في جماعات التصوف وجمهوره، وبعضهم عمل بالقضاء والفتيا. وكانوا جميعاً يكتبون لمن شاء ما يشاء من الوثائق. وكان خريجو هذه المدارس هم الذين أصبحوا في خدمة الأنظمة المتعاقبة كالسلطنات الإسلامية والتركية والمهدية فتولوا شئون القضاء والفتيا والكتابة الديوانية وضبط الموارد وما يصرف وما إلى ذلك.

وكان لمراكز التصوف أثر كبير لما كان يبذل فيها في مجال التعليم والإرشاد وتأثير العلماء الذين كانوا يلحقون بها. وكثيراً ما كانت الخلاوي تقام في هذه المراكز وتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن كما أن بعضها كان يعني أيضاً بتدريس العلوم. كانت هذه المراكز مقصد الإتباع فيما يشكل من الأمور كالنظر في القضايا والفتيا أينما يكون وما لا يكون وتدوين المواثيق والعهود. وكان بعض هؤلاء يودعون وثائقهم لدى رجال الدين لتكون بمنأى عن السرقة ولتطمئن النفوس على أنها بعيدة عن كل خطر ومصونة باجلال الشيخ ومقامه عندهم.

ثم جاءت السلطنات الإسلامية، وكانت أولاها سلطنة الفور التي قامت على يد السلطان سليمان الأول في أواسط القرن الخامس عشر. وفي مطلع القرن السادس عشر قامت سلطنة الفونج على انقاض مملكة النوبة المسيحية العليا، وفي أواسط القرن السادس عشر قامت مملكة تقلي في شرق جبال النوبة على يد بعض الفقهاء. وكانت هناك، بغير هذه، سلطنات إسلامية صغيرة في أرض السودان الحديث، كما كانت هناك سلطنات إسلامية في السودان الغربي.

وعلى ما يبدو فإن عادة التدوين لم تكن منتشرة في أول الأمر، وكان من يريد أن يبلغ أمراً لشخص ينقله إليه شفاهة أو يرسل إليه رسولاً ينقل ما يريد. وإذا أراد المرء أن يوثق أمراً كطلاق أو عقد أو عطاء أو وصية أشهد عليه العدول ليستدل بهم عند الحاجة، شفاهة أيضاً، وفي بعض العقود كانوا يشهدون عامة الناس أيضاً مثل الحد بين أرض وأرض أو ملكية شئ.

على أن تعقد المجتمع وانتظام الدول قد دعا إلى تدوين الأمور المهمة، وهنا ظهر أثر المتخرجين من مراكز العلم والعلماء القادمين من الخارج من أمثال التونسي وأبيه، فإنهم انتظموا يكتبون للسلاطين وحكام الولايات ومن كانوا يطلبون توثيق أمورهم من عامة الناس على شكل محرر، وكان ظهور المحرر المكتوب أسبق في الشرق عنه في الغرب، وهو أمر يمكن تفسير ه بغير عناء، ذلك لأن أهل النيل كانوا أكثر تأثراً بالعروبة والإسلام، وكان لسانهم ينطق بالعربية، بينما كان الفور يتكلمون بلغتهم الخاصة ويتعاملون بها في معاملاتهم بينما لا يملك منهم قدرة التعامل باللغة العربية إلا قليلون.

وقد بذل في السنوات الأخيرة جهد ذو بال لجميع الوثائق، إذ جمعت دار الوثائق المركزية مجموعات منها من قرية الكدرو ومن قبة الشيخ خوجلي بالخرطوم بحري ومن مدينة الدامر ومن بعض قرى المديرية الشمالية ومديرية النيل، وتولى البروفيسور توبيانا وزوجته جمع مجموعة مهمة من وثائق الفور، وصديقنا البروفيسور اوفاهي جمع بمفرده وبالتعاون مع دار الوثائق المركزية مجموعات مهمة من وثائق سلاطين الفور، وهو يطمح إلى القيام بالمزيد من البحث في أقاليم السودان المختلفة.

لقد بينت هذه المجموعات أن أقدم وثائق الفونج ترجع إلى عهد بادي أبو شلوخ والذي حكم في أواسط القرن الثامن عشر، وقد بينا في موضع آخر أن مرد عطاياه الواسعة يرجع إلى كونه ابن أسرة مالكة جديدة بدأت بأبيه فقط وأن ذلك كان يدعو إلى كثرة العطاء لأهل النفوذ من رجال الدين وزعماء القبائل من أجل تأليف قلوبهم. وفي الظن أن الفونج لم يمارسوا كتابة الوثائق قبل بدء هذا القرن. وترجع أقدم وثائق الفور إلى عهد السلطان تيراب والذي حكم في

النصف الثاني من هذا القرن غير أن تدوين العقود لا يظهر بشكل ملفت إلا في عهد عبد الرحمن الرشيد وما بعده. أما مملكة تقلي فالظن انها لا تسبق الفور والفونج وان كان اقدم وثائقها المكتشفة مؤرخة بتواريخ تسبق ما نعهد عند الفونج والفور، ولكن أمر هذه التواريخ ليس بالمؤكد، ومن الممكن أن نزعم أنها منقولة عن الأصول بأيدي آخرين دفعتهم رغبة التأكيد إلى وضع تواريخ متقدمة.

ومن الملفت أن هذه الوثائق وبالأخص وثائق التملك تظهر في صورة مكتملة بناءً وتحريراً وتأخذ نفس الطابع العربي الإسلامي الذي تأخذه الوثيقة في بلاد العالم العربي الأخرى، وهذا يعني أن كتابها كانوا على دراية تامة بأصول كتابة الوثائق وشروطها. وهذا يدعونا إلى أن نسأل من أين لكتاب الفونج والفور بهذه الدراية وهذه المعرفة.

إنه من الميسور أن نعتبر أن أصول الكتابة هذه قد جاءت قادمة من مصر صاعدة مع النيل مثل خبرات أخرى سبقت أو لحقت. وها هنا يمكن أن تفيدنا الوثائق التاريخية التي أكتشفت في قصر ابريم أثناء حملة إنقاذ آثار النوبة، وهي وثائق مكتوبة بالعربية والنوبية ولغات أخرى. ومن الممكن أن نعتبر ذلك نقطة وثب إلى السودان، ولكن الأقرب إلى المنطق ان انتقال هذه الأصول لم يكن على وجه جغرافي وإنما على وجه بشري بمعنى أن العلماء الذين قدموا من مصر والمغرب والحجاز هم الذين نقلوا النمط العربي الإسلامي للوثيقة إلى بلاد السودان ونشروه، وقد وجدوا مجالهم الأرحب عند قيام السلطنات وبالذات بعد أن ظهرت عادة تحرير ما يقرر وما يسن من أمور.

ومن الطريف أن أقدم الوثائق الأثيوبية مكتوبة باللغة العربية أو باللغة الجعزية المتأثرة باللغة العربية. وقد تركت الوثيقة العربية تأثيرها البالغ على الوثيقة الأثيوبية حتى بعد أن صارت تكتب بلغات أثيوبيا وتحمل شارات مسيحية. ولا شك عندنا أن ذلك راجع إلى الكتّاب الذين عاونوا ملوك أثيوبيا من المسلمين وغير المسلمين في تحرير المحررات، وكان بعض هؤلاء قادمين من الخارج وبعضهم متأثرين بالقادمين عن طريق التلقي بينما كان البعض الآخر يتلقى عن مصادر الثقافة العربية الإسلامية مباشرة. وهو نفس ما وقع في

السودان، إذ أن العلماء القادمين من العالم الإسلامي ومتخرجي مدارس السودان قد وضعوا الوثيقة العربية الإسلامية في خدمة السلطنات الإسلامية وفي خدمة المجتمع ككل وأبرزوا هذه الوثيقة في صورتها المكتملة وبشروطها وأصولها المرعية في بقاع العالم الإسلامي.

إن الوثيقة العربية الإسلامية تقع - مثلها مثل وثائق الأمم الأخرى - في ثلاثة أجزاء ويعرف الجزء الأول بالإفتتاح ، وعناصر الإفتتاح تعرف بالفواتح، وهي نحو البسملة والحمدلة والصلولة والعدية والعنوان - أي الراسل والمرسل إليه وما يتصل بالتراسل من أدوات مثل الدعاء والألقاب والكنى والنعوت، وقد عرف هذا الطرف بالطراز أيضاً، إلا أن لفظ الطراز اقتصر مؤخراً على نقوش المنسوجات. والجزء الثاني هو الموضوع المباشر الذي من أجله يحرر المحرر. وقد يعرف أيضاً بما بعد السلامين. ثم يأتي الجزء الثالث وهو الختام والذي قد يتضمن الحمدلة والصلولة مع لفظ السلام أو أية ألفاظ أخرى ختامية. والغربيون يقولون للافتتاح البروتوكول الافتتاحي وللختام البرتوكول الختامي.

ثم هناك أمران يختلف موضعهما من مكان إلى آخر حسب مشيئة الكاتب أو حسب العرف الديواني الذي تسير الكتابة على منواله في هذا البلد أو ذاك. وأولهما التاريخ والذي قد يأتي في مقدمة الوثيقة كما هو الحال في بعض وثائق عصرنا أو قد يكون في المؤخرة، كما كان عليه غالب عادة العرب. وهنا قد يكون قبل لفظ السلام أو الختام أو قد يكون بعده. والثاني هو الختم، ذلك لأنه قد يأتي في صدر الوثيقة لدلالة خاصة أو قد يأتي في نهاية الوثيقة لدلالة خاصة أيضاً.

الفصـــل الرابع

الختم الديواني في السودان:

يظهر مما تقدم أن الوثيقة الديوانية لم تعرف في السودان إلا بعد قيام السلطنات الإسلامية، وعلى الأخص سلطنات الفونج والفور وتقلي، ومشيخة العبدلاب، أيضاً. وقد وضح أن هذه السلطنات كانت تعتمد في أول أمرها على الأداء الشفوي للأمور وأنها لم تتجه إلى الكتابة الديوانية إلا مع مطلع القرن الثامن عشر. وحتى في ذلك الوقت كان التحرير وقفاً على الأمور المهمة كضبط الممتلكات والعلاقة مع الطوائف الدينية مثلاً. ويأتي اضطراداً من هذا أن ظهور الختم الديواني لأول مرة كان في هذه الفترة لأن الختم الديواني يأتي مصاحباً للتحرير الديواني.

أما الختم الشخصي فمن الممكن أن نفترض أنه لم يظهر إلا بعد تشابك المصالح وتعقدها بحيث تستلزم المصالح هذه ضبط المعاملات بأدوات الضبط المختلفة والتي منها استعال الختم. ومن الممكن أن نفترض أيضاً أن ظهور الختم الشخصي في أواسط السودان كان مع ظهور الختم الرسمي أو قبله بقليل، إذ أن الداعي إلى وجود الختم هو وجود الوثيقة المكتوبة لتوثيق الأمور وضبطها. أما في شمال السودان فإن الوضع يبدو مختلفاً لوجود الأملاك الخاصة الثابتة ولتعقد العلاقات الاجتماعية بحكم الحياة المستقرة. ولذلك كان من الممكن أن نفترض أن ظهور الختم فيه كان في وقت مبكر وأن كنا لا نستطيع أن نحدد ذلك بزمن. أما أختام الطوائف الدينية فلم تظهر إلا بعد أن قويت هذه الطوائف في السودان وأخذت تنتظم في أدائها. وعلى ذلك فإن الختم الشخصي أيضاً حديث عهد في السودان بالمقارنة بالبلاد العربية.

والختم الشخصي أساساً يقوم مقام الإمضاء، ولذلك كان الذين في مقدورهم أن يوقعوا بأسمائهم لا يستعملون الختم. والواقع أن الكثير من الأميين يعرفون رسم أسمائهم بكيفية ما. وبعضهم يرسم اسمه بطريقة لا يمكن محاكاتها. وهم يقبلون على على مهر وثائقهم بالإمضاء الذي حفظوا رسمه. أما أولئك الذين لا يستطيعون الإمضاء فقد سلكوا سبلاً شتى لبيان موافقتهم على

ما جاء بإسهم. ومن ذلك الاكتفاء بأن يكتب الكاتب المحرر اسم الشخص المعني على نحو ما يتم الآن في الخطابات التي تصدر عن الأميين. وفي هذه الحالة فإن خط الكاتب هو الشاهد على أن الخطاب صادر من صاحب الاسم. وفي مجتمع كان عدد المتعلمين فيه قليلاً كان من السهل الوصول إلى صاحب الخط فيما إذا ظهر غير ما أراد الشخص المعني أو إذا ظهرت الحاجة إلى الإستشهاد به. وكان الشخص لا يكتب إلا بكاتب يثق به، وكان الكتاب المحررون في أغلب الحالات يكتبون أسماءهم، أما بكتابة تحية شخصية للمرسل إليه واما بأشارة صريحة إلى أنه كاتب الوثيقة أو أنه كاتب للمحرر وشاهد على ما تم تدوينه. ومثل هذا التدبير كان يوثق به. وكان يكفي القول بأن فلاناً وفلاناً من العدول قد وقعوا على المكتوب ليأخذ الأمر مفعوله القوي. وقد جرى كتاب السلاطين على هذه العادة في حالة الوثائق المهمة ذات الارتباط بالممتلكات. أما إذا كان الكاتب مجرد محرر ووضع إمضاءه في نهاية الوثيقة فإن دلالة تصرفه كانت تذهب إلى مسئوليته عن التحرير، بيد أن ذلك كان عادة كتاب الديوان. وقد سمى هذا النحو من الإمضاء برجل الغراب، وفيه من الإستخفاف بالمحرر ما ترى. على أن ذلك لا يتم إلا إذا كان صاحب الوثيقة أمياً ويعتمد على ذمة الكاتب فيما يدون.

و كانت عادة كتاب الفونج والفور أن يضعوا أسماءهم في المراحل النهائية للوثيقة مع ذكر الصفة بأن يقول الكاتب محررها أو كاتبها أو كاتب وشاهد على مضمونها، ولم يكن من عادتهم أن يوقعوا على الوثائق بالإمضاء خارج النص، وهذا تصرف مفهوم لأن الوثيقة الصادرة عن السلطان لا تحتاج إلى شهود بأنها صادرة منه. ولذلك أيضاً لا ترد تواقيع الشهود المذكورين في الوثيقة وإنما يكتفي بسرد أسمائهم في متن الوثيقة ذاتها، وبذلك تخلو وثيقة الفور والفونج الصادرة من السلاطين عن الإمضاءات كلية. والحقيقة أن هؤلاء الشهود شهود على الواقعة المذكورة في الوثيقة وليس على صدر الوثيقة ذاتها عن السلطان. وكان الدليل على صدور الوثيقة من السلطان هو ختمه.

أما القضاة والعلماء والولاة فكانوا يوقعون بأسمائهم دليلاً على صدور المحررات منهم، ولكن لا توقيع إذا صدرت الوثيقة باسم السلطان أو بخاتم القاضي الرسمي إذ أن الختم هو الاجراء المعتمد في هذه الحالة. وكان العلماء الذين يقررون حكماً صادراً عن محكمة أو قاض يوقعون على الحكم بخطوطهم ولذلك كانوا يقولون بعد الإقرار بالموافقة: وهذا خطى بيدي، وعلينا أن ننبه إلى أن بعض القضاة والعلماء كانوا يقضون بين الناس تطوعاً دون أن يكونوا معينين من قبل الدولة وبذلك لا تتصف مكتوباتهم شرطاً بما يكون عليه مكتوبات الدولة.

وفي فترة المهدية كان الختم هو الدليل على صدور الوثيقة عن المسئول المعني، ولذلك لم تكن هناك تواقيع لتدل على صدور المكتوب عن طرف إلا إذا كانت الوثيقة صادرة عن شخص أو أشخاص بغير صفة رسمية. أما الخلفاء والأمراء والعمال والنواب وغيرهم من أهل الوظائف فكانوا يضعون أختامهم على وثائقهم، وبعضهم كان يوقع إذا كان قادراً على التوقيع، ولكن ذلك لم يكن مسموحاً به إلا لمن يتولون الأمور الصغيرة، أما الكبار فكان عليهم استعمال الختم، وإذ تعذر ذلك لسبب، كان من الواجب بيان هذا السبب والاعتذار عنه. وقد جرى تنظيم استعمال الختم على يد الخليفة عبد الله، إذ قصر حمل الختم على مراتب معينة.

والعادة أن الكتّاب لا يوقعون إذا كتبوا لأمير أو عامل أو للمهدي أو للخليفة لأن ذلك لم يكن من الأدب. وإذا ظهر خطأ في التحرير أو دس فيمكن الوصول إلى المسئول عنه لأن كاتب كل أمير كان معروفاً، وكان من الممكن الإحتكام إلى الخط للتأكد من أنه صادر عن كاتب الشخص المعني أو غيره بالنظر إلى الخط، على إننا لاحظنا إن كتاب الخليفة عبد الله والخليفة علي الحلو والخليفة شريف كانوا في حياة المهدي يوقعون بأسمائهم على كل المكتوبات الصادرة منهم، إلا أن هذه العادة أبطلت بعد وفاة المهدي.

وإذا كانت الوثيقة ذات أهمية خاصة، كأن تكون مرتبطة بالممتلكات أو بشهادة فإن صاحب الوثيقة يبصم عليها بابهام يده اليمنى. وقد جرى هذا

التصرف على سبيل العادة، وكان له سريانه واعتماده بالرغم من أن الخبرة الفنية لم تكن متوفرة - مثلما هي اليوم - للتأكد من بصمة إبهام شخص، ولا بد أن هذه العادة قد توطدت بعد أن عرف الناس تفرد خطوط إبهام شخص من غيرها.

أما إذا كان الرجل أمياً وكان على قدر معقول من التعامل التحريري فإنه كان يلجأ إلى الختم ليمهر به محرراته.

والختم في هذه الحالة يدل على إقرار الشخص المعني بصدور المحرر عنه والتزامه بما يرد فيه وتحمله لكل المسئوليات المترتبة عليه. وهو بالطبع يحل محل الإمضاء أو البصمة والاسم الذي يخطه الكاتب لصاحب المحرر.

إن صاحب المحرر بالطبع مسئول عن كل ما يصدر عنه بأي من الحالات المذكورة، وكاتب المحرر مسئول معه فيما إذا دس شيئاً أو وقع في خطأ. ولذلك كان الناس لا يلجأون إلى كاتب إلا إذا وثقوا فيه وعرفوا مقدرته، وكان الكاتب على قدر كبير من الأمانة والمسئولية في أداء ما يطلب منه وفي حفظ أسرار الناس.

وقد صنعت أختام السودانيين من مواد كثيرة، ولعل أغلبها كان من الفضة والنحاس والرصاص والحديد. وقد جاء في البيان الذي أرسله الأمير يونس الدكيم إلى الخليفة عبد الله عن الأختام التي صادرها من مساعديه أن الأختام التي جمعها بلغت ثمانين وأن اثنين وأربعين منها كان من الفضة، بينما كان الباقي من النحاس (٤٥). وكان الصاغة والسباكون يقومون بأعداد أجسام الأختام، أما في شكل خاتم يكون في الأصبع ويكون على مسطحه ما يراد من نقش، وأما في شكل مسطح بمقبض فيعلق من الجسم أو غيره، إلا أن أغلب الأختام كانت ترد جاهزة من مصر. وكان يقوم بالنقش رجل متخصص هو الحفار.

وكانت أختام السودانيين في الغالب دائرية أو بيضوية، والقليل منها كان مضلعاً على نحو ختم المهدي الثالث. ومن النادر أن تجد شكل الكمثرى أو الشكل المثلث. وكان النقش بسيطاً، إذ قلما تجد زخرفاً معقداً على شكل الحيوانات أو

النبات. وكان أغلب زخرفهم عبارة عن خطوط عرضية أو دائرية، وقد تصاحبها مجموعة من أشكال رؤوس الحربة اما متصلة بها أو على حذائها. وترد الأهلة أحياناً. وفي حالات قليلة وقفنا على حلقات وضعت لملء الفراغات.

أما الكتابة فإن العنصر المهم فيها هو الاسم. ثم يلي ذلك تاريخ الختم، وهو أصلاً تاريخ نقش الختم، ولكن ذلك قد يتوافق مع مناسبات أخرى كتولية أمر أو اعتلاء وظيفة إو تبدل مهم في الوظيفة ذاتها. وفي بعض الأحيان نجد عبارة مناسبة تصاحب الاسم في شكل ابتهال أو علامة أو امثولة أو مأثورة. وقد تأتي العبارة من وحي اسم صاحب الختم كقولهم وفق يا رحمن عبدك عبد الرحمن. وفي حالة خاصة اقتصر كل ذلك على المقولة والتاريخ باعتبار أن المقولة تدل على صاحب الختم ومشربه، ونعني هنا ختم خليفة المهدي الذي اقتصر نقشه على قوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وعادة ما كان الحفار يتصرف في ترتيب الألفاظ فيقدم أو يؤخر ليحافظ على التوزيع المناسب للأحرف كما كان يتصرف في أبعاد الحروف واتجاهاتها بغرض الزينة وملء الفراغات.

وقد تميزت أختام الحكام بكبر أحجامها. اما أختام العامة فكانت صغيرة الحجم. والسبب في كبر حجم أختام الحكام يرجع إلى أمرين: أولهم أن كبر الختم يوحي بالأهمية والخصوصية. وثانيهما: أن موضع هذا الختم هو صدر الوثيقة، فإذا كان الختم صغيراً فإن حجمه لا يناسب وضعه في الصدر، إذ أن هذا الوضع يستلزم ختماً بحجم كبير ليتبين الختم في الصدر ويتفق مع المدلول السلطاني أو الملوكي.

وإذا كانت مقدرة الرجل العادي برسم اسمه أو عدمها هي التي تقرر فيما إذا كان يحمل ختماً أو لا يحمل فإن موضع الرجل الرسمي وخطره الوظيفي هو الذي يحدد أهليته لحمل الختم الرسمي، ولهذا فإن الحاكم يحمل ختماً

لمحرراته الرسمية حتى وإن كان قادراً على الكتابة. وكذلك الحال بالنسبة للقضاة ورجال الطوائف الدينية، لأن المدلول هنا مدلول وظيفي وليس مجرد الدلالة على الصدور عن جهة وحسب. وقد تفاوتت هذه الأهلية حسب عوائد الأنظمة المختلفة. وسوف نلاحظ أن استعمال الختم الرسمي عند الفونج قد اقتصر على السلطان فقط وعلى شيخ العبدلاب ثم على الوزير بعد أن أضحى الوزير في السلطنة هو صاحب الأمر والنهي. وسوف نلاحظ أيضاً أن سلاطين الفور كانوا متسامحين أكثر، إذ سمح لبعض رجال الدولة إن يصدروا وثائقهم بأختام السلاطين كما سمح لبعضهم بحمل أختام رسمية خاصة بهم.

والختم الشخصي كما قلنا يكون في نهاية المحرر دليلاً على صحة صدور المحرر بنصه المعتمد عن صاحبه. والختم هنا يقوم مقام الإمضاء. ومدلوله أن كل ما تقدم صحيح ومعتمد وأن صاحب الختم مقر بصدوره عنه بما جاء فيه. أما ما يأتي بعد الختم فهو غير مسئول عنه إلا إذا ختمه أيضاً. وعلى هذا النحو جرى ختم المهدي مع أنه ختم رسمي. وكذلك الحال بأختام اتباعه. أما أختام حكام الفونج والفور ومن وإليهم فتأتي في صدر المحرر لتدل على أن الوثيقة ككل وثيقة رسمية ولتدل بالتالي على صحة النص وصحة صدوره رسمياً. وإنما تأتي صحة النص والصدور انسياقاً عن الصفة الرسمية، أو الصفة السلطانية أو الملوكية. ويختلف وضع الختم في الصدر بحيث يكون في المنتصف بالنسبة إلى الورقة أو بالنسبة إلى الحيز المكتوب من متن وهامش أو بالنسبة إلى المتن دون الهامش.

الختم عند الفونج والعبدلاب (٤٦):

اتخذ سلاطين الفونج ووزرائهم أختاماً رسمية. وكانت أختامهم كبيرة الحجم بالقياس إلى أختام العامة إلا أنها كانت أصغر حجماً من أختام سلاطين الفور،

وذلك على عكس ما يزعم نعوم شقير في تاريخه. وكانوا يضعون أختامهم في صدر المحرر لتضفي على المحرر ككل الصفة الرسمية فيكون محرراً سلطانياً أو ملوكياً أو وزارياً. وبالطبع فإن موضعه في الصدر يكسب الوثيقة ككل طابعاً رسمياً يتسق مع مقام صاحب المحرر، ومن حيث الترتيب بالنسبة إلى عناصر الإفتتاحية للمحرر فإن ختم الفونج يأتي بعد العبارة الدينية التي تأتي بغرض الإستهلال أو على يمين هذه العبارة بحيث يكون الختم والعبارة في حذاء واحد.

وبداهة فإن سلطان الفونج كان يختم بخاتمه الرسمي. وكذلك كان شيخ العبدلاب. أما حكام الولايات وأهل الوظائف عموماً فلم يحملوا أختاماً رسمية. ومن الأدلة على ذلك أن حماد شيخ الجموعية لم يمهر وثيقته بختم (٤٧). ووثائق القضاة الذين نظروا في القضايا بتفويض خالية من الأختام الرسمية، والوثيقة التي مهرها القاضي عبد العزيز هذا كان من قضاة العهد التركي، وقد اعتمد الوثيقة حتى يستفيد أصحابها بها، وبالتالي فإن هذا ليس من أصل الوثيقة الفونجية وإنما إضافة جاءت في عصر تال.

وعلى هذا النحو جاء ختم القاضي السلاوي لإعتماد وثيقة صادرة في عهد الفونج وسبب ذلك أصحاب الحقوق الموثقة بوثائق قد لجأوا إلى محاكم التركية وقضائها لتأييد وثائقهم القديمة التي تتضمن حقوقهم.

وقد حمل وزير الفونج ختماً رسمياً مهر به وثائقه. ولكن منصب الوزير لم يظهر إلا في أواخر عهد السلطان بادي بن نول. وكان أول وزير للفونج هو محمد أبو لكيلك. وكان للوزير السلطة الحقيقية بينما لم يعد السلطان إلا رمزاً. ولذلك حق لوزير الفونج أن يحمل الختم الرسمي وأن يمهر به وثائقه.

وعلى أساس ما تقدم يمكننا أن نقول إن حق استعمال الختم الرسمي عند الفونج قد اقتصر على صاحب السلطة فعلاً وإن ذلك لم يتعد السلطان والوزير وشيخ قرى.

وقد اتخذت أختام السلاطين شكلاً بيضوياً أو دائرياً. ولم نر منهم من اتخذ شكلاً غير هذين. واختام شيوخ قرى اتخذت في كل الحالات التي وقفنا عليها شكلاً دائرياً. وأما أختام الفونج فلدينا منها نموذجان، أولهما للوزير محمد أبي لكيك والثاني لأبنه الوزير ناصر. وختم الأول دائري الشكل بينما ختم الثاني مضلع ذو ثمانية أضلاع متساوية.

ويتكون مكتوب الختم من أربعة عناصر هي العبارة الخاصة والاسم واللقب الذي لصاحبه والتاريخ. ولكن ليس معنى هذا أن تكتمل هذه العناصر كلها في كل الأختام، إذ أن بعض الأختام تسقط عنصراً أو آخر. ويتصرف الحفار عادة في وضع هذه العناصر فيقدم ويؤخر حتى يكتسب الختم شكلاً هندسياً ويعطى للرسم تناسقاً جمالياً معقولاً.

وأول ما يرد في الختم هو العبارة الخاصة والتي يمكن اعتبارها علامة ديوانية أو علامة لجهة الصدور. وقد اتخذ السلطان بادي بن نول في ختمه عبارة «الواثق بالله والرسول». أما السلطان بادي بن دكين والسلطان رانفي فقد اتخذا عبارة «الواثق بالملك الهادي». والواقع أن نص العبارة يتوافق مع العبارات الفخرية التي يذكرها السلاطين لأنفسهم في مرحلة التعريف بأنفسهم في نصوص الوثائق ولكن نص العبارة نفسها لا يرد في التعريف إلا نادراً.

ويلي العبارة اسم السلطان والذي يلازمه لقب السلطان. والواقع أن السلاطين يعطون لهذا اللقب أهمية كبرى، ولذلك يضعونه أمام أسماء الآباء والأجداد أيضاً للدلالة على كرم الأرومة وتسلل السلطنة إليهم عن الأجداد. وعلى هذا الوجه أورد السلاطين لقب السلطان كلما ذكرت أسماؤهم.

ويأتي تاريخ الختم في النهاية، وهو ينص على تاريخ الختم. وهو يوازي في أغلب الحالات تاريخ التولية أو مناسبة مهمة.

وقد اتبع الوزراء وشيوخ قرى نفس النمط في نقش الأختام وعناصرها. وقد اتخذ كل منهم عبارة خاصة، فالشيخ ناصر بن محمد الأمين شيخ قرى اتخذ

عبارة: «الواثق برب العالمين». والشيخ بادي بن مسمار اتخذ عبارة «الواثق بالملك الجبار»، والشيخ محمد الأمين اتخذ «الواثق بالله العزيز الجبار». والشيخ عجيب اتخذ «المتوكل على الله». أما أبنه الوزير ناصر فلم يتخذ عبارة خاصة.

وكما أوضحنا في كتابنا «الفونج والأرض» فمن الممكن استغلال تاريخ الختم لتجديد تواريخ الولاية. ولكن ينبغي هنا أن نلاحظ أمرين أولهما أن الختم عادة لا يذكر إلا تاريخ السنة، ولذلك لا ينتظر منه تحديد تاريخ الشهر واليوم، وثانيهما أن أصل التاريخ هو تاريخ النقش، ولذلك قد يختلف تاريخ النقش عن تاريخ التولية أو المناسبة الخاصة.

ختم الفور(٤٩):

الختم عند الفور هو أول مراحل التحرير، وذلك بخلاف القاعدة المتبعة عند الفونج والذين كانوا يستهلون وثائقهم، كما قلنا من قبل، بالدعاء الديني. ويستثنى من هذه القاعدة الختم الأقدم للسلطان علي دينار، وهو في وثيقة وحيدة، ذلك لأن ختم علي دينار في هذه الحالة يأتي في مؤخرة المكتوب جرياً على منوال أختام المهدية. ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذا الختم الذي حمله علي دينار أثناء المهدية، ونحن نلاحظ هنا أن علي دينار قد اتبع في وثائقه التي صدرت في أول عهده بالسلطنة النمط المهدوي في تحرير المحررات، ولذلك لا يستغرب وضع ختمه في هذا الموضع ولا صغر حجمه. ولم نر عند سلاطين الفور عادة وضع الختم مرتين كما هو الحال في بعض وثائق الفونج.

ويبدو من وضع الختم السلطاني في بعض وثائق الفور أنه كان يحق لرجال الدولة من غير السلاطين إصدار الوثائق بالختم السلطاني. فالقاضي محمد السنوسي أبو الحسن يصدر وثيقتين رسميتين صادرتين باسمه وفي اعلاهما ختم السلطان كما لو كانتا صادرتين من السلطان نفسه. والوثيقة في الحالة الأولى صادرة «في حكم متوليه» وفي الثانية «لدى محكمة من أمير المؤمنين» وكلا الأمرين يعني أن محمد السنوسي كان قاضياً وقد نصبه السلطان في

الحالة الأولى محكماً بينما جعله في الثانية قاضياً في محكمة السلطان. وعلى ذلك يتبين وجه استعمال الحكم السلطاني في الحالتين، وهو كون الوثيقة تسجل حكماً صادراً عن محكمة السلطان أو محكّمه.

وفي وثيقتين نجد ان لبعض رجال الدولة ختماً خاصاً به يرد في صدر الوثيقة مثله في ذلك مثل أختام السلاطين. ومن هنا يتبين أن وضع الختم الرسمي في وثائق الفور الرسمية هو صدر الوثيقة.

ووثيقة القرقيض إبراهيم خليل بن الملك رمضان حجة سلطانية، وهي حجة سلطانية بالرغم من أنها ليست من السلطان نفسه. وصفة إصدار هذه الحجة هي النيابة عن الأب النكناوي يحيى باجازة من السلطان محمد الفضل. وفي وثيقة أخرى يصدر الوزير الأمين يوسف بن فطر حكماً بالنيابة عن السلطان محمد الفضل أيضاً. أي أن الحكم في الحالتين يصدر عن الرجلين بصفة نيابتهما عن السلطان، وذلك يختلف عن كون الحكم صادراً عن محكمة عادية. وعلى ذلك يجوز لمن ينوب عن السلطان بشكل مباشر أو غير مباشر أن يحمل الختم الرسمي وأن يصدر به الوثائق الرسمية وأن يضعه على صدر الوثيقة. وبذلك تتضح قاعدة من قواعد استعمال الختم عند الفور بخلاف ما كان عند الفونج.

ويبدو من ذلك أن الفور كانوا متسامحين أكثر من الفونج أزاء الأختام الرسمية التي يحملها رجال الدولة.

ويلاحظ أن الختم السلطاني كبير الحجم في حين أن أختام الآخرين صغيرة الحجم، ويبدو واضحاً أن ختم سلطان الفور أكبر حجماً من ختم سلطان الفونج. كما يلاحظ أن الفور كانوا أكثر اهتماماً بزخرفة الختم وشكله وانهم كانوا يهتمون بصفة خاصة بالتنوع في الشكل. وقد فاق السلطان علي دينار في ذلك

كل من عداه عدداً وتنوعاً في الأشكال. ومع أنه يصعب وضع قاعدة ثابتة لأشكال الأختام فإننا نستطيع أن نقول في حدود النماذج التي وقفنا عليها بأن الشكل الغالب عند الفور هو البيضوي.

وكما هي العادة عند الفونج فإن الفور يذكرون ألقابهم في الأختام كلقب الوزير والشيخ والقاضي والسلطان والمقدوم. ولكن لقب السولونج ولقب الرشيد لا يظهران مع اسم السلطان سليمان واسم السلطان عبد الرحمن إلا أن لقب الرشيد جاء مع اسمه في أختام من جاء بعده من السلاطين. ويظهر في حالات قليلة كأختام السلطان محمد الحسين لقب أمير المؤمنين، إلا أن هذه حالات شاذة ازاء القاعدة العامة.

وفي أختام الأعيان يظهر اسم صاحب الختم واسم أبيه مصحوبين بالألقاب، أما في أختام السلاطين فيرد اسم السلطان مصحوباً باسم أبيه وأجداده حتى السلطان سليمان مؤسس السلطنة والجد الأكبر لكل السلاطين. وكل اسم من أسماء السلاطين مسبوق بلقب السلطان. وقد خالف السلطان علي دينار هذه القاعدة في عدة حالات. ففي ختم الأول لم يذكر أكثر من اسمه. ومرد ذلك مفهوم لأنه ليس ختم السلطنة وإنما هو الختم الذي أتخذه أيام المهدية عندما كان أحد ملازمي خليفة المهدي وقد استعمله لفترة قصيرة بعد اعتلائه العرش. وفي ختمه الثاني ذكر اسم أبيه بغير لقب وهذا ما يتفق مع حاله لأنه لم يتول سلطنة ولا كان من المطالبين بالعرش إلا أنه اضفى عليه في الأختام التالية لقب السلطان. وقد فعل مثل ذلك حسين محمد عجيب الذي نصب نفسه سلطاناً على دارفور بعد أن تضعضعت إدارة المهدية في دارفور نتيجة لحملة كتشنر ثم تخلى عن العرش بعد أن جاء علي دينار مقتحماً. وقد أنعم عليه علي دينار بلقب ملك الحداحيد، استخفافاً به. وليس بخاف على فطنة القارىء أن حسينا وعليا رغبا في أعلاء شأن أبويهما - وبالتالي شأنهما - فنسبا لهما سلطنة لم تكن لهما. والغالب في أختام علي دينار أنه يقف عند اسم أبيه أو الأكثر عند السلطان أحمد أبكر. فهو اذن أقل احتفالاً بسرد أسماء أجداده الأوائل خاصة وقد اضحت سلسلة السلاطين إلى سليمان طويلة.

وكقاعدة متبعة فإن الختم السلطاني يحمل تاريخاً هو تاريخ النقش والذي قد يتوافق مع تاريخ التولية. أما أختام الأعيان فالغالب انها بغير تاريخ. وفي أختام السلطان علي دينار جرى النص على تاريخ توليته وهو ١٣١٦هـ. ويختلف ختمه الأول هنا أيضاً بكونه لا يحمل تاريخاً.

ويكاد يكون واضحاً من النماذج التي وقفنا عليها أن الفور لا يهتمون بنقش العبارة الخاصة في أختامهم، وذلك على عكس اهتمام الفونج بها. وهذا يتوافق مع عدم اهتمام الفور بديباجة المحرر عموماً.

العهد التركي المصري:

ثم جاء العهد التركي المصري بعد عهد السلطنات الإسلامية وانضوت مجموعة من السلطنات داخل الإدارة المصرية الموحدة لها والتي امتدت من ١٨٢١ إلى ١٨٨٥م. وقد جرى استعمال الختم في هذا العهد على المنوال الذي كان سائداً في مصر بينما أختفى المنوال التقليدي الذي عرفته دواوين السلطنات.

إن دراسة كيفية استعمال الختم وسائر عناصر بناء الوثيقة أي الدبلوماتيك كما يسمى في الغرب تعتمد أساساً على وجود نماذج كافية من الوثائق الأصلية، ولكن ذلك أمر لم يتوفر لنا عند اعداد هذه الدراسة، إذ ليس بدار الوثائق المركزية السودانية حيث نعمل إلا عدد قليل من وثائق التركية المصرية، ولعلها من الشوارد التي جاءت إلى الدار بمحض الصدفة، وهي بالطبع لا تصلح أساساً لدراسة منهجية، وعندما أتيح لنا النظر في وثائق هذا العهد في دار الوثائق القومية بالقاهرة كان ذهننا منصرفاً إلى موضوع غير موضوع التوثيق، ولم يكن في بالنا عندئذ النظر في أمور التوثيق خلاف ما كان مختصاً بالتوثيق السوداني التقليدي الذي ساد عهد السلطنات والمهدية. وقد كان أغلب نظرنا في وثائق الخديويين والحكمداريين المترجمة عن الأصل التركي إلى اللغة العربية بفضل المترجمين الذين جاء بهم الملك فؤاد لأن هدفنا كان الوقوف على التيار العام للإدارة المصرية في السودان بغية أعداد خطة للتصوير. وبالطبع لا توفر النسخ المترجمة المظاهر الأصلية للتوثيق.

لذلك كان محصولنا عن التوثيق التركي المصري في السودان محصولاً ضئيلاً. ولعل احساسنا بهذا يدفعنا في المستقبل إلى تدارك هذا النقص. ورغم كل ما تقدم فإن القليل الذي وقفنا عليه يجيز لنا أن نضع النقاط السريعة التالية عن الختم في هذا العهد:

أولاً: لقد كثر استعمال الأختام عن ذي قبل وازداد عدد حامليها زيادة كبيرة اتساقاً مع تشابك المصالح والعلاقات الاجتماعية وتعقدها والتوسع الهائل في المعاملات التجارية.

ثانياً: ازدادت الأختام الرسمية زيادة كبيرة تبعاً لتعدد الأجهزة الإدارية لأن وثائق الأجهزة ما كانت تعتمد إلا إذا مهرت بالأختام. لذلك نجد ختم الحكمدارية وأختام المديريات الخ. ولم يكن استعمال الختم وقفاً على الرسائل والصكوك بل كان يوضع أيضاً على دفاتر السجلات المالية وسجلات الرسائل وما إليها.

ثالثاً: حمل الأفراد الذين يتولون الوظائف الأختام التي توفر لهم اعتماد محرراتهم اعتماداً رسمياً، وبذلك ازداد عدد حاملي الأختام ممن يعرفون الكتابة.

رابعاً: صدرت الأوامر الرسمية بنفس النمط الذي كانت تصدر به في مصر وبالأختام الخاصة بها.

خامساً: هناك تنوع واضح في الأختام من حيث الشكل والنقش والخط.

سادساً: يلاحظ في أختام هذا العهد بصفة عامة دقة الصنع واتقان النقش.

سابعاً: عرف السودان في هذا العهد الدمغة، وهي ختم بفئة تطبع على الورق إما بحبر يلتصق من جسم الختم على الورق وإما بضغط يترك أثره في جسم الورق نفسه. والدمغة تعد الآن بمعزل عن الورق على شكل طابع البريد فيما عدا أوراق المحاكم المعدة لكتابة العرائض والمختومة في صدرها بختم القضائية. ولأجل طبع أوراق الدمغة استجلب المصريون إلى السودان في العهد التركي مطبعة حجرية، وقد الحق بإدارتها قسم لتجليد الكتب والدفاتر. وقد تولت هذه المطبعة - على صغرها - طبع عدد من

منشورات الإدارة المصرية والكتب التي اصدرها بعض علماء الخرطوم في عهد الحكمدار عبد القادر باشا معارضين بها حركة المهدية. وبعد سقوط الخرطوم استولى الأنصار عليها وطبعوا بها عدداً من المنشورات العامة وجملة من الكتب منها الأجزاء المطبوعة من منشورات المهدي ورسالتي حسين زهرا والحسن العبادي ونصيحة العوام. وقد أدت هذه المطبعة على صغرها خدمة جليلة للفكر السوداني وبالأخص في عهد المهدية. وبمتحف بيت الخليفة عبد الله بأم درمان بقايا هذه المطبعة بينما تحتفظ دار الوثائق المركزية بأوراقها الإدارية في عهد المهدية وبغالب ما طبع بها من منشورات المهدية وكتبها.

إننا نعرض وصفاً لمجموعة من أختام هذا العهد وصورها البيانية في غير هذا الموضع، ونود هنا أن نكتفي بالكلام عن ختم غردون وتوقيعه على أوراق البون (٥٠)، أي العملة الورقية التي أصدرها غردون أثناء حصار الخرطوم، وهي أول عملة ورقية تصدر في السودان، لأن غردون وضع الختم والإمضاء على سبيل التأكيد والتأييد بغرض ضمان سريان هذه العملة الورقية وقبولها بين الناس، وهم على ما نعلم لم يكونوا يقبلون إلا ما كان من معدن مضمون، ومنعاً لمحاكاتها واصدار ما هو مزور عليها. ومع ذلك اهتدى البعض إلى سبيل لتزويرها. وقد بينا خبر ذلك فيما تقدم.

تحمل ورقة البون في صدرها الفئة المحددة لها ثم يلي بأسفلها رقم البون المسلسل ويلي ذلك سطر ونصف من الكلام نصه «هذا المبلغ مقبول ويجري دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضي ستة شهور من تاريخه». ثم تلى ذلك فاصلة الختام، ثم يلي التاريخ وهو: ٢٥ أبريل سنة ١٨٨٤م. ثم يلي التاريخ مباشرة ختم غردون وهو ختم بيضوي الشكل وصغير الحجم ويتضمن في سطر واحد اسمه: غردون، وفوق ذلك زخرفة. وبأسفله شكل لم نعرف هل هو زخرفة أم التاريخ، لأنه ليس بواضح، ثم ورد إلى شمال الختم مباشرة قوله: غردون باشا، مكتوباً بنفس خط العبارة. ويرد أسفل الختم مباشرة إمضاء غردون بيده بالخط الافرنجي.

الختم في عهد المهدية (٥١):

ترجع جذور التوثيق الذي سار عليه المهدي وأصحابه إلى التوثيق السوداني التقليدي الذي كان سائداً في السودان في عهد السلطنات. وقد تقدم وصف ذلك وموقع الختم منه فيما تقدم، كما سبق أن ذكرنا أن التقليد المصري في الكتابة قد غطى على هذا النمط في العهد التركي المصري. غير أن ذلك لم يكن إلا في الدواوين الحكومية، لأن عامة الناس ساروا على ما أخذوا عليه. وكان الفقرا ورجال التصوف حفظة هذا التراث، فلما قامت المهدية على أكتاف هؤلاء انحازوا إلى تقليدهم الكتابي ورجعوا بالمحررات إلى ما كان سابقاً. وقد دعا المهدي صراحة إلى ترك الرسم الذي ساد في العهد التركي المصري في الكتابة والعودة إلى الرسم العثماني الذي كتب به المصحف الشريف، كما دعا إلى التخلي عن كافة أساليب الترك في شئون الدولة وأمور الكتابة. وهناك منشور خاص من المهدي بصدد الخط ونبذ ما كان عليه الأمر في العهد التركي المصري والإقتداء بالرسم العثماني.

وقد التزم المهدي في أول عهده بالنمط الشخصي للمحررات، فكانت كتبه تبدأ بالمرسل إليه بينما يأتي الراسل في نهاية المحرر ثم يليه الختم. ولما كانت خلفية تكوينه خلفية دينية وكان عمله قبل المهدية في اطار الحركة الصوفية فإنه إهتم بالديباجة الدينية من بسملة وصلولة وتسليم وجعلها في صدر المحرر. وقد سار على منواله أصحابه، ولكنه عاد بعد سنة من بداية ثورته فعدل في ترتيب عناصر المحرر، إذ جعل المحرر يبدأ بالراسل ثم يتبعه بالمرسل إليه، على نمط رسائل الرسول، ثم أدخل في اسمه لفظ المهدي وجعل ذلك في ختمه، وكلما ذكر اسمه. كذلك عدل على أسمه المركب الذي سمى به، أي محمد أحمد، وإستبدله بمحمد فقط. وذلك حتى يستقيم تواطؤ اسمه مع اسم الرسول.

أما موضع الختم فقد بقي كما كان أولاً في نهاية المحرر كما بقي صغير الحجم، وذلك على عكس عادة سلاطين السودان.

ويرجع ختم المهدي إلى فترة سابقة لقيام المهدية، ويبدو من القرائن الظرفية أنه اتخذ أول ختم له عندما أوكل إليه أستاذه محمد شريف نور الدائم الاجازة لغيره بمرتبة الخليفة. وكان مثل هذا الأمر يقتضي أن تصدر إجازة مكتوبة على منوال معين من قبل السلطة التي تعطي الإجازة. ولا بد أن تحمل الإجازة ختمه. ولذلك حمل المهدي ختماً بالرغم من أنه قادر على أن يوقع باسمه. وختمه هنا ليس بدلاً عن الإمضاء كما هو الحال في أختام من لا يقدرون على الإمضاء وإنما هو ختم وظيفة يؤيد به عملاً يتم بحكم مباشرة هذه الوظيفة. وقد حمل هذا الختم تاريخ نقشه وهو ١٢٩٢. وهذا التاريخ في نظرنا يوافق تاريخ تفويضه من قبل أستاذه باعطاء مرتبة الخلافة. وكان موضع هذا الختم هو نهاية المحرر. وكان الغرض من ذلك هو اعتماد النص الذي يسبقه، وهو بخلاف عادة بعض اجازات السادة المراغنة الذين يضعون الختم في الأركان الأربعة للاجازة. فالختم في الحالة الأولى يجيز النص ويعتمده، بينما هو في الحالة الأخيرة يعتمد الوثيقة ككل ثم بالتالي يجيز النص أيضاً.

والختم عند المهدي وأتباعه هو آخر مراحل التوثيق. ولكي نحدد ذلك ينبغي أن نصف المرحلة بدقة، فالنص ينتهي بلفظ الختام والذي هو في أغلب الحالات لفظ السلام ثم تلي ذلك شرطة للفصل بين النص وما يليه. ثم يلي ذلك التاريخ. وبعد التاريخ مباشرة يأتي الختم معتمداً على ما سبقه من التصرفات التحريرية والتوثيقية. وإذ شاء الكاتب أن يضيف شيئاً بعد ذلك فعليه أن يعتمده بالختم مرة ثانية، وإلا فإن ما اضافه لا يعتمد.

وعلى ذلك فإن الختم عند المهدي واتباعه علامة من علامات الاثبات الدالة على صحة ما جاء في الوثيقة. وهذا يختلف عن خطة السلاطين الذين يضعون الختم السلطاني في صدر الوثيقة مشيرين بذلك إلى الوثيقة ككل وثيقة رسمية. والفرق بين الأمرين هو أن ختم المهدي وأصحابه يذهب إلى صحة المكتوب بينما يذهب ختم السلاطين إلى إلا أن المكتوب ككل مكتوب سلطاني.

وقد راعى المهدي أن يكون ختمه دليلاً على صحة المكتوب فجعل ختمه في ذيل الرسالة. وإذا عنّ له أن يضيف شيئاً بعد ذلك ختم الإضافة أيضاً بختم.

وقد أمر اتباعه بألا يعتمدوا الحواشي والإضافات إذا لم تكن مختومة بختمه، وليس من شك في أنه كان يخشى أن يدس عليه. ومن الجائز أيضاً أن المهدي قصد ألا يتخذ خطة أو علامة سار عليها السلاطين وأرباب الدولة حتى يبعد عن نظامه فكرة الحكومة والدولة ويجعله دعوة دينية خالصة، إذ هو يرفض أن يوصف نظامه بالحكومة أو بأي صفة تكسبه صفة الحكم بالمديرية والباشوية والكسروية كما أوضح في منشور له، ولذلك كان منطقياً أن يكون ختمه في النهاية كأختام عموم الناس وأن يكون صغير الحجم على عكس أختام السلاطين كبيرة الحجم.

وختم المهدي مسطح ترد فيه بعض النقوش. وهو بمقبض يربط به وليس على خاتم يكون في الأصبع، وقد استعمل المهدي أربعة أختام متتابعة هي:

(١) الختم الأول:

وهو أقدم أختام المهدي المعروفة، وقد أتخذه المهدي فيما نحسب سنة ١٢٩٢هـ – ١٨٧٥م عندما أجازه أستاذه الشيخ محمد شريف لإعطاء الخلافة لمن يستحق من المريدين، وصار يستعمله لفترة قصيرة، وقد ظهر في وثيقة واحدة كتبها المهدي قبل سنة ١٢٩٥هـ /١٨٧٨م مجيزاً بها أحد اتباع السمانية مرتبة الخليفة نيابة عن أستاذه الشيخ محمد شريف نور الدائم. والتاريخ الذي ينقشه هو تاريخ حصوله على حق إعطاء الإجازة محمد شريف وهو نفس التاريخ الذي ينقشه في الختم الرابع. وهذا الختم عبارة عن مسطح يكون شكلاً بيضوياً وليس هناك من سبيل لمعرفة أبعاده لأن النموذج الوحيد منه يرد في نسخة مصورة لا نعرف مقياسها.

(٢) الختم الثاني:

وقد حل محل الختم الأول في تاريخ غير معروف وأن كان من المحتمل أن ذلك وقع بعد انفصاله عن محمد شريف. وهو عبارة عن مسطح بيضوي الشكل يبلغ طوله ٢ س. وعرضه أقل عن ذلك قليلاً، وهو شبيه الأول في نقشه تماماً إلا أن تاريخ نقشه غير ظاهر، ويبدو أن الختم كان متآكلاً من هذا الجانب. وقد ظل مستعملاً حتى ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م.

(٣) الختم الثالث:

وهو الختم الذي حل محل الختم الثاني، وأقدم وثيقة تحمل هذا الختم رسالة صادرة من المهدي بعد ٧ صفر سنة ١٣٠٠هـ/١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٢م وآخر وثيقة صدرت به رسالة صادرة من المهدي في ٢١ ربيع أول سنة ١٣٠١/١٨ يناير ١٨٨٤م. وهذا الختم مضلع الشكل ويبلغ طوله العمودي ٢٦ مليمتراً وطوله الأفقي ٢٨ مليمتراً، وقد نقش في وسطه اسم المهدي هكذا: محمد المهدي عبد الله، وفي أعلى الختم: لا إله إلا الله، وفي أسفل: محمد رسول الله، وفي الطرف الأيسر البسملة وفي الطرف الأيمن التاريخ، وهو سنة ١٢٩٩هـ، وقد سرق هذا الختم من منزل المدثر إبراهيم ضمن بعض الأوراق بعد فتح أم درمان وذلك قبل أن تتسلم المخابرات الأوراق التي في عهدته. وقد ظهر فجأة في أواخر سنة ١٨٩٨م بحوزة خادم مدير شركة كوك للسياحة، وسلم إلى المخابرات وهو موجود الآن بمتحف بيت الخليفة بأم درمان.

(٤) الختم الرابع:

وهو الختم الذي حل محل الختم الثالث وهو دائري الشكل، وابعاده أفقياً وعمودياً ٢٢ مليمتراً، ويتكون نقشه من أربعة أسطر. وقد بدأ العمل بهذا الختم في ربيع الثاني سنة ١٣٠١هـ / يناير ١٨٨٤م واستمر حتى وفاة المهدي. وقد استعمله الخليفة عبد الله بعد وفاة المهدي في محرراته حتى أواسط شعبان ١٣٠٢. ومن ثم اتخذ ختمه.

ويعتبر ختم المهدي ختماً لنظامه، علاوة على أنه ختمه الشخصي، وقد نص في الختمين الآخرين على صفته أي المهدي، وهو يضع هذا اللفظ بعد اسمه مباشرة، ولا يضع المهدي لفظ ابن بين اسمه واسم أبيه. وكما أن الفونج كانوا يجعلون المكتوب في أربعة أسطر فإن المهدي يجعل مكتوب ختمه في أربعة أسطر، ومضمون هذا المكتوب هو نفس مضمون مكتوب الفونج لأنه ينص على العناصر الأربعة التي ينص عليها الفونج وبنفس الترتيب، وهي العبارة والاسم واللقب والتاريخ. ومن هنا يتضح ان المهدي اتخذ الخطة التقليدية التي عرفها السودانيون في شكل الختم وأوصافه.

والتـاريخ المذكـور فـي الخـتـم هو تاريخ إصـداره إلا فـي حـالـة واحـدة، وتـاريخ الإصدار في حـالة الفونج يفيدنا في التوصل إلى تواريخ ارتقاء السـلاطين، أما في أختام المهدي فإن التاريخ يشير إلى مواضع مهمة من تاريخ حياته.

وتاريخ الختم الثالث هو ١٢٩٩هـ، والظاهر أن العمل به بدأ مع انتقال الراسل من مؤخرة الوثيقة إلى مقدمتها والتعديل الذي أجراه في اسمه لأن الاسم الذي ينص عليه هو الاسم الجديد ولأن ظهوره يبدأ مع ظهور التعديلات التي أشرنا إليها. ويمكن القول اعتماداً على هذا أن العمل بهذا الختم بدأ في أواخر سنة ١٢٩٩هـ عندما بدأ بناء التنظيم الإداري.

أما تاريخ الختم الرابع فهو ١٢٩٢ هـ بينما صدر الختم حقيقة في ربيع الثاني سنة ١٣٠١هـ. ومعنى هذا هو أن المهدي قد عاد فجعل لختمه تاريخ الإجازة له من قبل الشيخ محمد شريف لتخليف المريدين.

إن النص على هـذا التـاريخ أياً كان الحادث الذي يشير إليه ينبغي أن يثير اهتمام البـاحث لأنه ينص على تاريخ مبكر، ولا بد أن يعني هذا أن المهدي يعتبر هذا الحـادث القديم الذي يسبق تاريخ اختـلافه مع أستاذه حدثاً مهماً يمكن أن ينص عليه في ختم نظامه.

وبالنظر إلـى أن الفرق الوحيد بين هذا الختم والختم الآخـر هو هذا التـاريخ فإن القصـد من اصـداره ليس إلا اعتمـاد هذا التـاريخ. ومن المحتمل أن المهدي قصد بذلك أن يعطي اعتبـاراً خاصـاً إلى الفتـرة ما بين إجازة محمد شريف له وبين إعـلان الدعـوة، وبمعنى آخـر فـإن عـمله في تخليف المريدين في الطريقـة السمانية والحـركة الإصلاحية التي قام بها بعد خـلافه مع محمد شـريف اعتبر داخل إطار الدعوة إلى إشادة الدين وتحقيق الأماني التي استهدفتها المهدية. ولسنا نعتقد أن هذا يعني أن الفترة المذكورة جزء من المهدية، فالمهدية تبدأ في منتصف سنة ١٢٩٨هـ حين ابلغ المهدي خاصة اتباعه بأنه اختير مهدياً، ولكننا نعتقد أنه يجمع بينها وبين مـا سبـقها لأن روح الحـركات واحـدة ولأن الأغراض والأهداف واحدة، وترد في منشورات الدعوة اشارات تدل على أنه يعتبر حركات تلك الفتـرة مقدمات طبيعية للمهدية، فهو يذكر انه كان يعمل لإقامة الدين

وتشييد أركانه وأنه كان ينتظر ظهور المهدي ليكون عوناً له وإنه عاهد الفقرا الذين اجتمعوا عليه على إقامة الدين وصار يسير على هذه الخطة إلى أن نصب مهدياً.

واتخذ الخليفة عبد الله ختماً بيضوياً، وقد كتب فيه قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل (٥٢)، ثم التاريخ وهو سنة ١٣٠٢هـ. وهذا يختلف عن أختام المهدي لأن الخليفة لا ينص على اسمه وإنما يتخذ من هذه الجملة علامة له وشعاراً لنظامه. فالختم ليس ختماً شخصياً وإنما هو علامة. وفي نظرنا أن الخليفة تفادى ذكر اسمه في الختم كما فعل المهدي لأنه أراد ألا يضع نفسه موضع المهدي فيكون صنواً له إذ أنه مجرد خليفة وليس أصلاً كما كان المهدي. وتاريخ النقش هو تاريخ ارتقائه الخلافة بعد وفاة المهدي.

وكان الختم في عهد المهدي في عهدة شخص يسمى أمين الختم، وكان هذا الأمين هو الذي يتولى اعتماد الرسائل الصادرة من المهدي. وكان أول شخص يتولى هذه الوظيفة هو عبد الله التيجاني، وهو جعلي. ولما قتل عبد الله هذا في واقعة الجمعة في الأبيض انتقلت أمانة الختم إلى فوزي السوداني التلغرافجي، ولما قتل فوزي في واقعة هكس انتقلت إلى فوزي محمود بادي. ولما قتل هذا إثر فتنة الأشراف انتقلت إلى المدثر إبراهيم وظلت عنده حتى سقوط نظام المهدية. وقد بلغنا من أختام المهدي الختم الثالث فقط وهو محفوظ في متحف بيت الخليفة، أما ختم الخليفة عبد الله فقد سلمه المدثر إبراهيم للمخابرات المصرية بعد واقعة أم درمان وهو أيضاً موجود الآن في متحف بيت الخليفة.

أما بالنسبة لأختام العمال والأمراء فقد ظل هؤلاء يستعملون أختامهم الخاصة إلى أن أبطل الخليفة عبد الله العمل بها في أواخر سنة ١٣٠٤هـ /١٨٨٦م - ١٨٨٧م (٥٣). ويبدو أنه دفع إلى اتخاذ هذه الخطوة بعد أن كثر تزوير الأختام (٥٤). وبمقتضى هذا الأمر ابطل الخليفة الأختام القديمة وجمعها من الأمراء والعمال (٥٥). وقد ذكر يونس الدكيم في خطاب إلى الخليفة إنه جمع من أعوانه (٨٠) ختماً، وصارت القاعدة ألا يختم على المكاتبات الرسمية

إلا من يحمل إجازة الخليفة ويحصل على ختماً من عنده (٥٦). ويذكر أميرا المسيرية جودة أحمد ومحمد خير الله عجال بعض الحالات التي تستلزم استعمال الختم (٥٧). فهما يقولان للخليفة أنهما في منطقة بعيدة وان اتباعهما لا يعتمدون القول إلا إذا كان مما يهم الخليفة من قبل وفاة المهدي. فهو يطلب من حمدان أبي عنجة أن تكون المواد والحوادث التي تحدث في جهته مختومة بختم القاضي وترسل إليه وإلى المهدي وأن عليه أن يحرر افادة بذلك، ويشير في جوابه بأن هذا الأمر مختوم بختم القاضي (٥٨). وقد وقع عبد الرحمن النجومي في خطاب منه إلى الأمير عبد الحليم مساعد بامضائه لتأييد ما كتبه واعتذر له عن عدم التختم بقوله: الختم ورانا على الطريق وهذا خطي بيدي (٥٩). وبعد أن نظم الخليفة إصدار الأختام الرسمية وجعلها تصدر عن بيت المال جعل النص على الختم يختلف باختلاف درجات العمال والأمراء ومراتبهم، فكبار العمال والأمراء يحملون أختاماً رمزية وصغارهم يحملون أختاماً بأسمائهم. ومن أمثلة أختام الكبار ختم عبد الرحمن النجومي ونصه «انصر يا رحمان عبدك عبد الرحمن (٦٠) وختم مساعد قيدوم ونصه: (نسأل الله السعادة). وإذا كتب عامل لا يحمل رسالة إلى الخليفة كان عليه أن يعتمده بأمير يحمل ختماً.

العهد الثنائي:

وفي العهد الثنائي صارت الوثائق الرسمية لا تعتمد ما لم تكن مختومة بختم الجهاز الذي يصدرها. وبالتالي أصبح لكل جهاز حكومي ختمه الخاص الذي تصدر به وثائقه معتمدة. وكان هناك نوعان من الأختام، ختم به اسم الجهاز فقط وختم به اسم الجهاز وتاريخ التختم به. وفي النوع الأول كان الكاتب أو المسؤول يضيف التاريخ بخطه بعد أن يختم على الورق. أما في الثاني فإن الموظف المسؤول يجعل التاريخ في الختم نفسه قبل الطبع، وقد سمى الأخير بالختم ذي التاريخ. ويلاحظ هنا أن التاريخ هو تاريخ الأداء الرسمي بالختم وليس تاريخ اصدار الختم، كما كان الأمر في أختام السلاطين وأختام المهدي والخليفة. وقد صنعت الأختام الحكومية بالمقابض، وكانت توضع على رافعة

خاصة. ويكون ختم المرفق عند موظف منوط به وهو الذي يمهر الوثائق به ويتولى مسؤولية المحافظة عليه.

وعلى قدر ما بحثنا فإننا لم نجد قانوناً أو توجيهاً يحدد نوعية المرافق التي تستعمل اختامها الخاصة ولكن يبدو أنه صار لكل مرفق خاتم رسمي، وكان على رئيس المرفق أن يضع مشروع الختم بالكيفية التي يراها وأن يرسل بيانها إلى الحفار مع الوثائق الرسمية التي تثبت صفة الطلب.

وقد اختلفت أشكال الأختام، فبعضها دائرية وبعضها بيضوية، ولكن الأغلب كان مضلعاً في شكل مستطيل أو مربع، أو مستطيل أو مربع مقطوع الأطراف. وغني عن القول أن أغلب أختام العهد الثنائي كانت باللغة الانجليزية. وقد حل محلها الآن أختام عربية.

وتشريع ناحتي الأختام الصادر في سنة ١٩٠٣ هو الذي ينظم كيفية اصدار الأختام الخاصة. وقد طرأت فكرة اصدار هذا التشريع في ذهن استانتن مدير الخرطوم في سنة ١٩٠٢م فرفع بها مشروعاً استوحاه من التشريع المصري. وقد استحسن ذلك المستر فيبس السكرتير الإداري وتولى المستر استرى السكرتير القضائي صياغته القانونية وأصدره في سنة ١٩٠٣م. ومنذ ذلك الحين لم يطرأ على هـ'' التشريع إلا تعديلات طفيفة.

إن هذا التشريع يعالج كيفية اصدار الأختام. فهو أولاً يجعله عند ناحت يحمل تصريحاً ثم يقيد هذا الناحت بحيث لا يصدر الختم ما لم يستوثق من الشخص ثم يضمن الصلاحية ويمنع التزوير عن طريق حفظ نماذج مختومة للأختام الصادرة في دفتر خاص. ولضمان سريان هذا القانون نص المشرع على كيفية التفتيش على ناحيتي الأختام. وإليك نص القانون كما هو الآن.

قانون ناحتي الأختام لسنة ١٩٠٣م

ترتيب المواد

المادة:

١- الرخصة الضرورية.

٢- سلطة المجلس الشعبي المحلي.

٣- قواعد إصدار الرخص.

٤- القواعد التي يجب أن يراعيها ناحتو الأختام.

٥- واجبات شيخ ناحتي الأختام.

٦- العقوبات.

٧- اسم القانون.

قانون ناحتي الأختام لسنة ١٩٠٣ (فبراير ١٩٠٣م)

قانون بالترخيص لناحتي الأختام ولتسجيل الأختام

الرخصة الضرورية:

(١) لا يجوز لأي شخص أن يمارس مهنة نحت الأختام ما لم يكن قد حصل على رخصة بذلك من المجلس الشعبي المحلي الذي يقيم داخل حدوده.

سلطة المجلس الشعبي المحلي:

(٢) تكون للمجلس الشعبي المحلي السلطة في:

أولاً: أن يمنح تلك الرخصة.

ثانياً: أن يفوض سلطته في منح تلك الرخصة إلى أي قاضي من الدرجة الأولى أو الثانية داخل حدود المجلس بصفة عامة أو في أي جزء منها.

ثالثاً: أن يلغي تلك الرخصة لأي سبب معقول.

رابعاً: أن يعين في أي مدينة يراها مناسبة شيخاً لناحتي الأختام تكون واجباته وفق ما هو محدد في هذا القانون:

١- قانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١م رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٣.

٢- كما سلف.

قواعد إصدار الرخص: ٣- تطبق القواعد الآتية على إصدار الرخص.
أولاً: يتم تقديم الطلب بعريضة مصحوبة بالشهادات الآتية:
أ. شهادة من شيخ ناحتي الأختام بالمدينة التي يقيم فيها مقدم الطلب أو إذا لم يكن هناك مثل ذلك الشيخ، شهادة من ناحت أختام مقتدر بأن مقدم الطلب بارع في مثل هذا النحت.
ب. شهادة من شخصين بارزين من المديرية التي يقيم فيها مقدم الطلب بأنه وفقاً لمعرفتهما الخاصة شخص ذو سمعة حسنة ولم يعاقب في أي جريمة مذكورة في الفصول ١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و٢٣ و٢٤ من قانون العقوبات لسنة ١٩٧٤م.
(ثانياً): على السلطة المرخصة عند منحها الرخصة وبعد أن يدفع المرخص له عشرين قرشاً أن تعطيه سجلاً مرقوماً على كل صفحة من واحد إلى مائة ويجب أن يحمل هذا السجل على الصفحة الأمامية اسم الشخص الذي أصدر له السجل وتاريخ الإصدار.
القواعد التي يجب أن يراعيها ناحتو الاختام:
٤- على كل ناحت أختام مرخص له أن يراعي القواعد الآتية:
أولاً: عليه في كل مرة يقدم إليه طلب ختم أن يدون في السجل المذكور البيانات الآتية:
أ- اسم مقدم الطلب كاملاً.
ب - مكان اقامة مقدم الطلب.
ج - مهنة أو وظيفة الطالب.
د - تاريخ الطلب.
هـ - ما إذا كان مقدم الطلب معروفاً لديه شخصياً أم لا.
و - تاريخ تسليم الختم إلى مقدم الطلب.
ز - طابع واضح للختم.
ثانياً: لا يجوز لأي ناحت أختام أن ينحت ختماً لشخص غير معروف لديه

شخصياً ما لم يحضر مقدم الطلب شخصين محترمين يتحملان مسئولية اثبات شخصيته ويوقعان بأختامهما على شهادة بهذا المعنى في السجل المذكور فيما تقدم.

ثالثاً: لا يجوز لأي ناحت أن ينحت ختماً باسم شخص خلاف مقدم الطلب إلا إذا أبرز مقدم الطلب تفويضاً مكتوباً من ذلك الشخص الآخر مشهوداً عليه من شخصين محترمين يضمنان أن ذلك التفويض قد منح بطريقة صحيحة ويوقعان بأختامهما شهادة بهذا المعنى في السجل المذكور فيما تقدم.

رابعاً: على كل ناحت أختام يراعى أن تكون كل القيودات في السجل المذكور مكتوبة بوضوح وأنه ليس هناك كتابة بين السطور.

خامساً: على كل ناحت أختام أن يقدم عند الطلب سجله المذكور إلى شيخ ناحتي الأختام للتفتييش.

سادساً: على كل ناحت أختام عند اعتزاله العمل أو عند سحب رخصته أن يعيد كل السجلات التي في حيازته إلى السلطة التي أصدرتها.

سابعاً: عند وفاة أي ناحت أختام يجب على ورثته أن يعيدوا كل السجلات التي كانت في حيازة الناحت المتوفي إلى السلطة التي أصدرتها.

يجوز أعادة أصدار السجلات التي أعيدت بمقتضى هذا البند إلى أي ناحت أختام مرخص له يخلف المتوفي في عمله.

ثامناً: على كل ناحت أختام أن ينحت على كل الأختام التي ينحتها تاريخ السنة التي نحتت فيها.

واجبات شيخ ناحتي الأختام:

٥- يعتبر شيخ ناحتي الأختام بالنسبة إلى واجباته المحددة بموجب هذا القانون موظفاً عاماً وتكون واجباته كما يلي:

(١) عليه أن يفتش سجلات كل ناحتي الأختام التابعين له مرة على الأقل كل ثلاثة شهور.

(٢) إذا وجد عند التفتيش أن أياً من تلك السجلات في صورة صحيحة ومنتظمة وجب عليه أن يختمه ويقيد تاريخ تفتيشه مباشرة بعد آخر قيد في ذلك السجل.

(٣) إذا وجد عند التفتيش قيودات زائفة أو غير منتظمة أو على صورة غير صحيحة في أي من تلك السجلات وجب عليه أن يأخذ في الحال ذلك السجل في حيازته ويبلغ الأمر إلى المجلس الشعبي المحلي.

العقوبات:

(٦) كل الجرائم التي تقع بالمخالفة لهذا القانون والتي لا يكون معاقباً عليها كجرائم بمقتضى قانون العقوبات لسنة ١٩٧٤م يعاقب عليها بغرامة لا تتجاوز جنيهاً واحداً أو بالسجن مدة لا تتجاوز سبعة أيام أو بالعقوبتين معاً، وتكون المحاكمة عنها أمام قاضي من الدرجة الثالثة أو أية محكمة أعلى إما إيجازية أو غير إيجازية.

اسم القانون:

(٧) يسمى هذا القانون (قانون ناحتي الأختام لسنة ١٩٠٣).

وهناك الآن ثلاثة أنواع من الأختام. آولها ختم التوثيق، وهو عبارة عن مسطح يكون النقش عليه بارزاً. ويوضع هذا المسطح في آلة ضاغطة ليتم ضغط النقش على جسم الورق نفسه. ومثال ذلك ختم رئيس جمهورية السودان الديمقراطية، ويتغير نص الختم في هذه الحالة بتغيير المسطح. وثاني الأنواع هو الختم المعدني أو ختم المطاط ويكون النقش فيه بارزاً أيضاً. وقد كثر الآن استعمال المطاط، ثم هناك ختم العامة والنوع النحاسي منه يستورد من مصر، ويمكن اعداد أجسام معدنية محلياً على يد السباكين بطريق الخرط. ثم يقوم الناحت أو الحفار بعملية الحفر بقلم معدني مثبت على مقبض خشبي بعد آن يثبت جسم الختم في مقبض خشبي آخر. والقاعدة أن الناحت يحفر ما يطلب منه من نص ولكنه يتصرف في الزخرف وفي ترتيب الكلمات ورسم الحروف. وأغلب أختام أبناء جنوب السودان من العاج والأبنوس والتك والعظم، وهي من نوع الخاتم الذي يلبس في الأصبع، وهم يأتون بها جاهزة ويقوم الناحت بالحفر. والأختام المعدنية لها أشكال مختلفة، منها النوع الذي يسمى وابورى، أي مبروم، وهو عبارة عن مسطح يتصل به مقبض على شكل وتد. ومنه المسطح الذي يتصل

به مقبض عريض. ومنه الختم المثلث وهو عبارة عن جسم ذي ثلاثة أوجه ويكون في كل وجه نقش. ويثبت هذا الجسم على مقبض بما يسمح بدورانه. ومن أشكاله الختم الكبير وهو مسطح عريض به مقبض، وقد يكون هذا المقبض صغيراً فيثبت عليه مقبض خشبي.

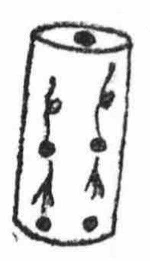
وعلى ما بلغنا من أهل الحرفة فإن إصدار الختم أضحى الآن أكثر يسراً لسهولة اثبات الشخصية عن طريق جوازات السفر وبطاقات الشخصية، فعند إبراز مثل هذه الوثائق لا يحتاج الناحت إلى المعرفة الشخصية أو الضامن والشاهد، وعند استعمال الختم يمكن الإحتكام إلى مطابقة الختم مع البطاقة للتأكد من صحته.

ومن أشهر الجهات التي تصنع الأختام الآن مطبعة نوبار واستديو ريى بعمارة أبو العلا وأعمال شقير ومطبعة أرو. وهي كلها تصنع أختام المطاط. أما أختام النحاس فتصنع في مصنع سك العملة والمعهد الفني التابع للكليات التكنولوجية، وتصنع الأختام العادية عند الناحتين والذين يعرفون أيضاً بالنقاشين أو كتبة الأختام. وقد كانوا كثيرين فيما مضى، وكانوا منتشرين في كل البلاد، لغلبة الأمية فلما انتشر التعليم انحسر عدد حاملي الأختام المعدنية وبالتالي تردى عدد الحرفيين. هذا بينما يزداد الطلب على أختام المطاط مع ازدياد المرافق العامة والهيئات والجمعيات. ومن الملاحظ أن الناحت غالباً يمتهن مهنة أخرى تساعده على الكسب. وكان لناحتي الأختام شيخ بنص القانون وهو الذي يوصي على طلبات المستجدين للرخصة لدى الجهات المختصة. وأشهر هؤلاء إبراهيم اسحق القبطي والذي كان يمتهن صيانة الساعات، بالإضافة إلى نقش الأختام. وكان خطاطاً بارعاً. أما الآن فلا شيخ للناحتين، والناحتون قريبو الصلة بالصاغة، وهم يجاورونهم دائماً، وأغلب الحفارين يرثون المهنة من الآباء. وقد قابلت أحد هؤلاء بالسوق العربي بالخرطوم وهو مبارك عبد الماجد محمد شنب الذي يمارس مهنته منذ أربعين عاماً، وهو لا يعمل بغيرها. أما والده فكان يتاجر بالخردوات، بالإضافة إلى حفر الأختام، وكان جده حفاراً وفي نفس الوقت يعلم الصبية في خلوة.

الفصل الخــامس

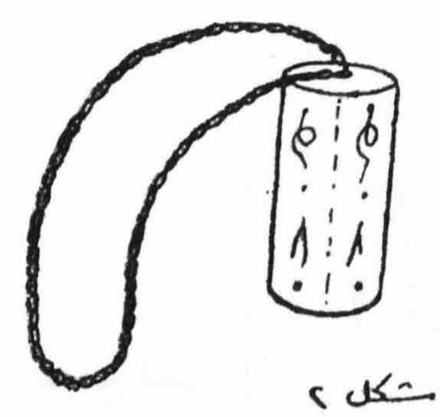
وصف بعض اختام السودان:

وقبل وصف أختام السودان نورد الأشكال التــاليــة للأخـــتــام توطئة:



شكل ١

الختم الاسطواني المصري القديم



شكل ٢

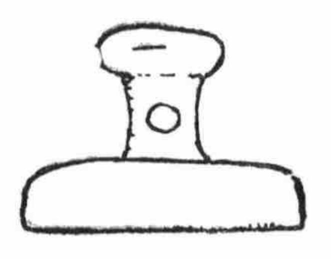
الختم الاسطواني المصري القديم بخيطه.



شكل ٣

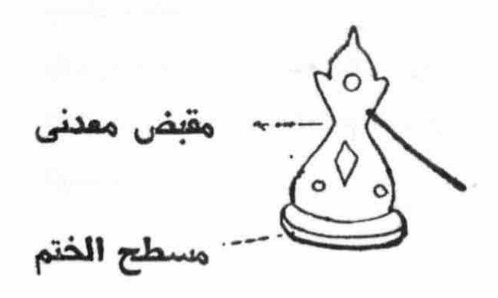
ختم مصري قديم على هيئة انسان جالس

وقد وجد على الجدران.



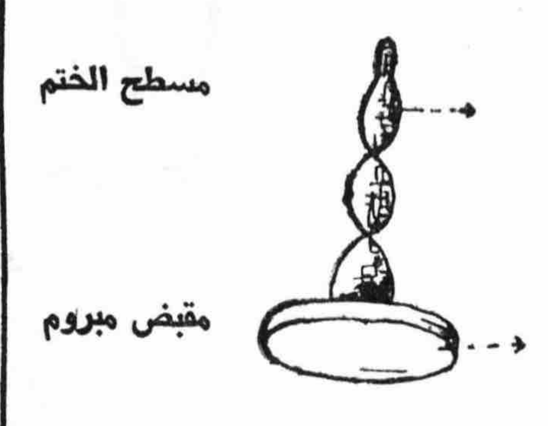
شكل ٤

ختم مصرى قديم على هيئة الزرار
وهو شبيه بالختم الشائع الآن

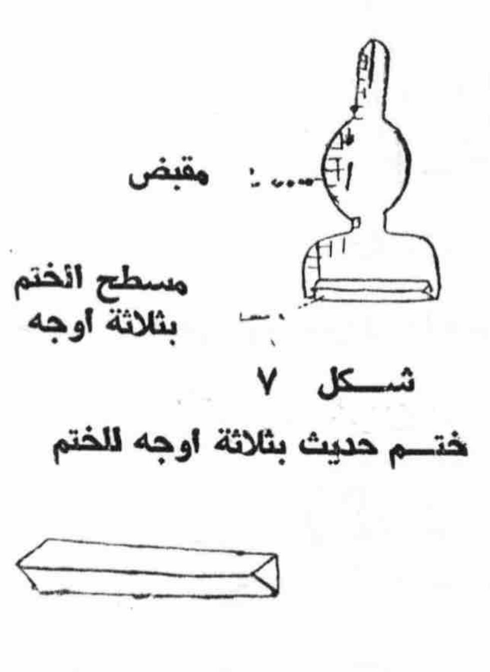


شكل ٦

ختم عادى حديث



شكل ٥
ختم حديث ـ النوع الوابورى



شكل ٧
ختم حديث بثلاثة اوجه للختم

شكل ٧
مسطح الختم

(٨) ختم السلطان عدلان بن السلطان إسماعيل سلطان سنار:

تولى السلطان عدلان العرش حوالي ١٧٧٧ بعد أبيه السلطان إسماعيل الذي نفاه الوزير بادي ود رجب إلى سواكن. وقد حاول التخلص من سطوة الهمج إلا انه فشل، وقد توفي في ١٧٨٨م.

وختمه بيضوي الشكل وأبعاده تساوي ٢,٢ سم و ١,٧ سم: ونقشه محاط بطوق خارجي. وبه نقش زخرفي دقيق يظهر تحت لفظ الملك في أعلى الختم وفوق حرف اللام في آخر لفظ الجليل وفوق اللام أيضاً من لفظ إسماعيل، وفوق الألف من لفظ السلطان في أسفل الختم. وعلى الطرف الأسفل من جانب الختم الأيمن يظهر نقش في شكل أقواس متشابكة، وفوقه بقليل يوجد زخرف بشكل زاوية حادة وخطوط صغيرة.

أما الكتابة فترد في أربعة أسطر متداخلة، ونصها كالآتي: سطر أول: الواثق بالملك، سطر ثاني: الجليل، ويمتد حرف الياء ويظهر فوقه مباشرة السطر الأول فيبدو السطران وكأنهما سطر واحد. وسطر ثالث : السلطان عدلان بن، ثم سطر رابع : السلطان إسماعيل ١١٩٠ وفي هذا أيضاً يندمج عيل وهو النصف الثاني من لفظ إسماعيل ويمتد حرف الياء فيه بحيث يلي السطر الثالث مباشرة مما يجعل عدد السطور بالختم كأنها ثلاثة أسطر.

ورد هذا الختم في الوثيقة الحادية والعشرين من وثائق خليفة الشيخ خوجلي.



شكل ٨

ختم السلطان عدلان بن السلطان

اسماعيل سلطان الفونج

(٩) ختم الشيخ عجيب بن الشيخ عبد الله شيخ العبدلاب:

وهو عاشر شيوخ العبدلاب وقد جاء حكمه بعد الشيخ الأمين ود مسمار وقبل عبد الله ود عجيب، وكان معاصراً للسلطان بادي أبو شلوخ.

ختمه دائري الشكل وقطره يساوي ٤,٤ سم وبه طوقان خارجيان، وبه نقوش زخرفية دقيقة ومتفرقة، ففي السطر الأول تحت لفظ آل يظهر نقش بشكل مقعر ويتكرر نفس النقش فوق كلمة عجيب في السطر الثاني وتحت لفظ عبد الله في السطر الثالث.

أما المكتوب ففي ثلاثة أسطر على النحو التالي" سطر أول: المتوكل على الله، سطر ثاني: الشيخ عجيب بن المرحوم الشيخ، سطر ثالث: عبد الله ١١٨٠ وتحت ذلك كتب لفظ سنة.

ورد هذا الختم في الوثيقة الرابعة عشر من وثائق خليفة الشيخ خوجلي.



شكل ٩

ختم الشيخ عجيب شيخ العبدلاب

(١٠) ختم الوزير محمد بن الشيخ بادي أبو لكليك :

وزير الفونج المشهور وهو من قبيلة الهمج، وكان قائد الفرسان في حرب الحبشة واشتهر فيها. اشترك في غزو كردفان وقد انتصر انتصاراً باهراً بعد أن تولى القيادة إثر مقتل القائدين الأول والثاني، وقد فاز بلقب الوزير وبالولاية على كردفان، وكان ذلك في ١١٦٠هـ. وكانت وزارته هي الأولى في عهد الفونج.

وبعد سنوات اتجه بجنوده إلى سنار وعزل السطان بادي نول وولى ابنه ناصر، ومن وقتها صارت السلطة بيد وزراء الهمج بينما صار السلطان مجرد لقب. وقد توفي ١٧٧٧م.

ختمه دائري الشكل وبه طوق خارجي.

والنقش الزخرفي فيه متفرق، ففي أعلاه فوق لفظ الملك يظهر زخرف بشكل الزاوية الحادة أو رأس سهم صغير ويتكرر ذلك النقش، وأحياناً تظهر فوقه نقطة كما في السطر الثالث أو خط صغير كما في السطر الأول على الجانب الأيسر أو يصير نقشين أحداهما فوق الآخر كما في السطر الأخير.

أما المكتوب فيرد في ثلاثة أسطر على النحو التالي، سطر أول: الواثق بالملك الهادي، سطر ثاني: الشيخ محمد بن المرحوم، سطر ثالث: الشيخ بادي ١١٦٠م.

ورد هذا الختم في الوثيقة السادسة من مجموعة الكدرو.



شكل ١٠

ختم ابو لكيلك الفونج

(١١) ختم الشيخ ناصر بن محمد الأمين شيخ العبدلاب:

هو آخر شيوخ العبدلاب، وقد تولى الحكم بعد مقتل الشيخ عبد الله ود عجيب الذي أغتيل على يد وزير الهمج إدريس ابو الكيلك في ١٧٩٩. وقد سلم لإسماعيل باشا في الحلفاية في ١٨٢١، ثم اشترك في الثورة بعد مقتله.

وختمه دائري الشكل، طول قطره يساوي ٣,٨ سم، له طوق خارجي.

قسم الختم إلى ثلاثة أقسام بخطين مستقيمين ينتهيان إلى الطوق، لا يظهر بالختم نقش زخرفي واضح. أما المكتوب فيرد في ثلاثة أسطر على المنوال التالي:

سطر أول: الواثق برب العالمين، سطر ثاني: الشيخ ناصر بن الشيخ، سطر ثالث: محمد الأمين، وتحته كتب التاريخ وهو ١٢٠٤.

ورد هذا الختم في الوثيقة ٣٢ من وثائق خليفة الشيخ خوجلي.



شكل ١١
ختم الشيخ ناصر بن محمد الامين
شيخ العبدلاب

(١٢) ختم الوزير ناصر بن محمد ابولكيلك:

تولى الوزارة بعد هزيمة الهمج على يد عدلان خلفاً لأخيه رجب. وقد انتصر على السلطان ودخل سنار في ١٧٨٨ واعاد للوزارة قوتها وللهمج نفوذهم، وقد قتل في ١٧٩٨م.

وختمه مضلع الشكل ولكن بنقش غير منتظم، أبعاده تساوي ١,٩ سم للضلع الأفقي و١,٥ سم للضلع بالأركان، الضلع الرأسي طوله ١,٣ سم.

وبالختم طوقان خارجيان، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام بخطين أفقيين مزدوجين تنتهي أطرافهما عند حد الختم. وترد بالختم نقوش زخرفية مختلفة، ففي أعلى الجانب الأيسر يوجد نقش بكل كوكبة، وهذا النقش يتكرر فوق السطر الأول، وفي أيسر الختم في السطر الثاني، وفي بداية ومنتصف السطر الثالث. ويرد أيضاً نقش بشكل دائري صغير في السطر الأول فوق لفظ الوزير، وفي السطر الثاني فوق لفظ

الوزير أيضاً، وفوق لفظ محمد. كذلك يوجد نقش بشكل ثلاثة دوائر متلاصقة مكونة ما يشبه المثلث تحت لفظ محمد في السطر الثاني.

أما المكتوب فيرد في ثلاثة أسطر على المنوال التالي:

سطر أول: الوزير الشيخ ناصر، سطر ثاني: ابن الوزير الشيخ محمد، سطر ثالث: ابن الشيخ بادي، والتاريخ وهو ١٢٠٤.

ورد هذا الختم في الوثيقة الثانية من وثائق الكدرو



شكل ١٢

ختم الوزير ناصر

(١٣) ختم السلطان ناصر بن السلطان بادي بن نول سلطان سنار:

تولى العرش بعد والده السلطان بادي نول ابو شلوخ. وقد حكم من سنة ١٧٦١ حتى عزله الوزير سنة ١٧٦٨. ثم قتل في نفس السنة إثر محاولته استرداد الحكم.

وختمه بيضوي الشكل وأبعاده تساوي ٣,٢ سم و ١,٧سم.

وبه نقوش زخرفية كثيرة متفرقة، ففي أعلى الختم نجد نقشاً بشكل الزاوية الحادة يتكرر باتجاهات مختلفة في انحاء الختم، أنظر مثلاً فوق لفظ الواثق في السطر الأول وفوق لفظ السلطان في نفس السطر، وأيضاً فوق لفظ السلطان في السطر الثالث، ويوجد زخرف على يمين الختم بشكل الزاوية المنفرجة. وفي أيسره يرد نقش أشبه باعداد متلاصقة وهو غالباً ما يكون التاريخ. هذا بالإضافة إلى حركات الشكل التي ترد فوق الحروف كالفتحة مثلاً.

أما المكتوب فيرد بخط متداخل وفي ثلاثة أسطر تقريباً. ففي السطر الأول الواثق بالله والرسول السلطان، وفي السطر الثاني: ناصر بن السطان بادي ١١٧٥. وفي السطر الثالث: ابن السلطان نول.

ويلاحظ أن الحروف الممدودة - مثل السين في لفظ الرسول والياء في لفظ بادي - هي التي استغلت لتصير فواصل تشبه الأسطر. ونلاحظ أن التاريخ لم يكتب في نهاية الختم كالعادة مما يدل على أن الكتابة لم ترد بتسطير مقصود أو تنظيم معين. ورد هذا الختم في الوثيقة العاشرة من وثائق خليفة الشيخ خوجلي



شكل ١٣

ختم السلطان بادى

(١٤) ختم الشيخ عبد الله عجيب شيخ العبدلاب

تولى الشيخ عبد الله عجيب مشيخة العبدلاب بعد الشيخ بادي بن مسمار، وقد قتل على يد الوزير إدريس ابو لكيلك.

وختمه دائري الشكل، وطول قطره، يساوي ٢,٥ سم، وبه طوق خارجي، وقد ظللت المسافة بينه وبين حد الختم بخطوط متعرجة. قسم الختم إلى أربعة أقسام يفصل كل قسم عن الآخر خط شبه مستقيم ينتهي طرفاه عند الطوق. وتوجد نقوش زخرفية دقيقة بشكل رأس السهم كالتي في الجانب الأيمن من الختم في المساحة الصغيرة بين تفرع الخطوط المستقيمة وحد الختم.

أما الكتابة فترد في أربعة سطور كما يلي:

سطر أول: الواثق بالله، سطر ثاني: المجيب الشيخ عبد الله، سطر ثالث: ابن المرحوم الشيخ، سطر رابع: عجيب، وفوق ذلك يأتي التاريخ وهو ١٢٠٥ والذي هو تاريخ ولاية هذا الشيخ.

ورد هذا الختم في الوثيقة التاسعة والعشرين من وثائق خليفة الشيخ خوجلي.



شكل ١٤

ختم الشيخ عبد الله عجيب شيخ العبدلاب

(١٥) ختم السلطان عبد الرحمن الرشيد سلطان الفور:

تولى السلطان عبد الرحمن بن السلطان أحمد بكر سلطنة الفور بعد أخيه محمد تيراب، وهو الذي اتخذ الفاشر عاصمة للملك. وقد استرد كردفان من الفونج واستمر حكمه من ١٧٨٥إلى ١٧٩٦. كاتب نابليون بونابرت وواصل السلطان العثماني بكتبه وهداياه، وفاز منه بلقب الرشيد. ومن واقع الوثائق التي حصلنا عليها رصدنا له الختمين التاليين:

(١٥) الختم الأول:

ختم دائري أبعاده غير معروفة لأننا وقفنا عليه في وثيقة مصورة بغير مقياس. يتكون الزخرف في طرف الختم من مثلثات صغيرة تحاط بدائرتين وتظهر نقاط النون في لفظ سلطان على شكل زخرفي أشبه بالكوكبة الصغيرة. وعلى لفظ السين من اللفظ نفسه في السطر الثاني والثالث والرابع نجد نقشاً يشبه حرف السين أو المدة، وقد قسم الختم إلى خمسة أقسام يفصل بين كل منها والآخر خط أفقي ينتهي طرفاه عند نطاق الختم.

ويرد المكتوب كالآتي: سطر أول: سلطان عبد، سطر ثاني: الرحمن بن السلطان، سطر ثالث: أحمد بكر بن السلطان، سطر رابع: موسى بن السلطان، سطر خامس: سليمان سنة ١٢٠٢، ولفظ سنة يرد فوق التاريخ.

يلاحظ اثبات الألف في لفظ «ابن» كما يلاحظ أن لقب الرشيد لا يظهر في النقش، وذلك على عكس ما يزعم نعوم شقير، ويمكن تفسير ذلك بأن إضفاء هذا

اللقب عليه من قبل السلطان العثماني كان بعد صنع الختم أو أن السلطان لم يشأ أن يثبت هذا اللقب التشريفي على ختمه.

وقد ورد ختمه هذا في وثيقتين هما: السادسة والحادية عشر من مجموعة توبيانا.



شكل ١٥

ختم السلطان عبد الرحمن الرشيد الاول

(١٦) الختم الثاني:

ختم مضلع الشكل له ثمانية اضلاع، الافقيان منها أطول من العمودين، والاضلاع الباقية متساوية واصغر حجماً من العمودية والأفقية.

وابعاد الختم غير معروفة لأنه ورد في وثيقة مصورة بغير مقياس. إلا أن حجمه كبير. اما نقشه فغير واضح.

وقد ورد في الوثيقة الثانية عشر من مجموعة توبيانا.

ختم السلطان محمد الحسين سلطان الفور:

تولى محمد الحسين عرش الفور بعد أبيه السلطان محمد الفضل، وقد حكم فيما بين ١٨٣٩ و١٨٧٣، وقد واجه الضغوط القادمة من الإدارة المصرية بالشرق وبات على خوف من غزو مصري وواصل الحروبات مع الرزيقات. وقد ادخل الأسلحة النارية إلى بلاده.

ومن واقع ما بلغنا من وثائقه وما جاء في تاريخ نعوم رصدنا له الأختام التالية:-

(١٧) الختم الأول:

هو ختم دائري كبير الحجم.

وله طوقان، طوق خارجي ظللت المسافة بينه وبين حد الختم بخطوط صغيرة مستقيمة، وطوق داخلي مزدوج قسمت المساحة بداخله إلى ٧ أقسام بستة خطوط أفقية مزدوجة ينتهي طرفا كل منها في محيط الطوق بينما قسمت المسافة بين الطوقين الخارجي والداخلي إلى ٦ مقاطع كل مقطع محاط بقوسين صغيرين مزدوجين. ويوجد أيضاً نقش زخرفي بشكل كوكبة، وعلى طرفي القسم السابع نقش يتألف من شكل دائري صغير له زوائد منحنية.

أما الكتابة فترد على دفعتين، بطرفه وبداخله، فالمكتوب الذي بطرفه يأتي في المقاطع المذكورة على النحو التالي: المقطع العلوي: بسم الله. ثم بالترتيب على يساره وفي مسار دائري، ما شاء الله، لا حول، ولا قوة، إلا بالله العلي العظيم. والمكتوب في الداخل يأتي في سبعة أسطر كالآتي: سطر أول: ملك أمير المؤمنين وسلالة، سطر ثاني: الأكرمين السلطان محمد الحسين بن السلطان، سطر ثالث: محمد الفضل بن السلطان عبد الرحمن الرشيد، سطر رابع: أحمد بكر بن السلطان موسى بن السلطان، سطر خامس: سليمان صاحب البر والإحسان تولى الملك بيوم، سطر سادس: الأربعاء ثاني عشر شهر صفر، سطر سابع: الخير سنة ١٢٥٤. وهذا السطر الأخير نصه مرتب بحيث يأتي (الخير) ثم أسفله (١٢٥٤)، ثم أسفل ذلك لفظ (سنة).

ونلاحظ في هذا الختم عدة أمور أولها الكتابة في النقش الذي على الطرف، وهذا ما لا نعهده إلا في بعض أختام المهدي. ثانياً: ينص على ملكيته للختم بلفظ ملك، ثالثاً: يرد لقب أمير المؤمنين، بالإضافة إلى لقب السلطان وسلالة الأكرمين. رابعاً: لفظ «الفضل» يرد معرفاً بالألف واللام بخلاف ما هو الحال في ختم محمد الفضل نفسه. خامساً: أثبت للسلطان عبد الرحمن لقب الرشيد، وهذا اللقب لا يرد في ختم السلطان عبد الرحمن نفسه كما تقدم. سادساً: وصف السلطان سليمان بأنه صاحب البر والإحسان. سابعاً: نص في الختم على

تاريخ توليه صراحة وباسم اليوم وتاريخه وتاريخ الشهر وصفته وتاريخ السنة، ثامناً: يرد لفظ (ابن) بغير ألف.

ورد هذا الختم في جغرافية وتاريخ السودان لنعوم شقير، طبعة بيروت ص (٤٨٥).



شكل ١٦

ختم السلطان محمد الحسين الاول

(١٨) الختم الثاني:

ختم دائري كبير أبعاده غير معروفة لأنه ورد مصوراً بغير مقياس، وحوله نطاق يتكون من خطوط صغيرة مستقيمة.

والختم مقسم إلى سبعة أقسام يفصل بين كل قسم والآخر خطان أفقيان يمتدان من طرف الختم إلى طرفه الآخر.

أما الكتابة فيه فتأتي على المنوال التالي: سطر أول: ملك أمير المؤمنين، سطر ثاني: السلطان محمد حسين، سطر ثالث: ابن السلطان محمد الفضل ابن، سطر رابع: السلطان عبد الرحمن الرشيد، سطر خامس: ابن السلطان أحمد بكر ابن، سطر سادس وسطر سابع الكتابة فيهما غير ظاهرة. ولكن بالنظر إلى الأصول المتبعة في أختام سلاطين الفور فمن الممكن أن نعتبر أن نصهما يتضمن: السلطان موسى ابن السلطان سليمان ثم التاريخ: وهنا نلاحظ مرة أخرى لفظ ملك ولقب أمير المؤمنين والفضل معرفاً واثبات لقب الرشيد واثبات الألف في لفظ (ابن).

ورد هذا الختم في الوثائق الثامنة والعاشرة في مجموعة توبيانا وفي ورقة رقم ٤ في مجلد أركل بقسم المتنوعات، ومجموعة أوفاهي بالمتنوعات تحت رقم ٥٤٦ بدار الوثائق المركزية.



شكل ١٧

ختم السلطان محمد الحسين الثاني

(١٩) الختم الثالث

ختم دائري كبير الحجم وأن كان مدى هذا الحجم غير مدروك لأنه يرد في مصور بغير مقياس.

النقش فيه يختلف عن سابقيه أما الكتابة فغير مقروءة وتخطيطه غير واضح.

ورد هذا الختم في الوثيقة الثالثة عشر في مجموعة توبيانا والوثيقة رقم ٥ في مجلد اركل والمعاليا ومتنوعات رقم ٤٦.

ختم السلطان محمد الفضل سلطان الفور

تولى السلطان محمد الفضل عرش الفور بعد أبيه السلطان عبد الرحمن الرشيد في ١٨٠٢، وقد انتصر على سلطان ودّاي وحارب الرزيقات وأجبرهم على التقهقر. وفي عهده غزت جيوش محمد علي السودان وأخذت منه ولاية كردفان. توفي في ١٨٣٩م، ومن واقع وثائقه التي وقفنا عليها رصدنا له الأختام التالية:

به نقوش زخرفية كالعلامتين الواردتين على طرفي السطر الأول والسطر الأخير فيما يشبه الزاوية الحادة. وكذلك يتكرر نقش في بداية السطر الثاني ونهاية السطر الرابع فيما يشبه شكل زهرة متجهة إلى أسفل. ثم الحركات الإملائية مثل الفتحة والكسرة والشدة المبينة فوق الحرف.

أما الكتابة فترد في ستة أسطر على المنوال التالي:

سطر أول: السلطان، سطر ثاني: محمد فضل الله ابن السلطان، سطر ثالث: عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان، سطر رابع: أحمد بابكر ابن السلطان، سطر خامس: موسى بن السلطان سليمان، سطر سادس: ويرد فيه التاريخ وهو ١٣١٨ وتحته كتب لفظ سنة.

يلاحظ أن لفظ سنة في شكل متعرج ليس عليه نقاط.

ورد هذا الختم في الوثائق الثالثة والرابعة والخامسة في مجموعة توبيانا.



شكل ١٩

ختم السلطان محمد الفضل الثاني

(٢٢) الختم الثالث

ختم دائري كبير، لا نملك أبعاده لأنه ورد في نسخة مصورة بغير مقياس، الختم طريف ولم نقف على مثله في أختام الفونج والفور.

النقش الزخرفي فيه عبارة عن تقسيمات بخطوط دائرية تجعل الكتابة تتوالى في شكل دائري، وفي وسط الختم أي في الدائرة الوسطى كتب لفظ محمد. أما السطور التالية فغير واضحة.

ورد هذا الختم في الوثيقة التاسعة من مجموعة توبيانا.

(٢٠) الختم الأول:

بيضوي الشكل ولم نعرف أبعاده لأنه وجد في وثائق مصورة بغير بيان لمقياس الرسم ولكن يتضح من حجمه بالنسبة إلى المكتوب أن حجمه كبير.

وهو مقسم إلى ستة أقسام بخمسة خطوط أفقية تنتهي أطرافها عند حد الختم. وليس به زخرف سوى الحركات مثل الفتحة في لفظ عبد الرحمن ولفظ أحمد ونقش آخر يشبه حرف السين فوق حرف السين من لفظ السلطان.

أما الكتابة فترد في ستة أسطر على النحو التالي، سطر أول: السلطان، سطر ثاني: محمد فضل ابن السلطان، سطر ثالث: عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان، سطر رابع: أحمد بابكر ابن السلطان، سطر خامس: موسى بن السلطان، سطر سادس: سليمان ١٣١٥هـ.

ويلاحظ اثبات الألف في لفظ (ابن) واثبات لقب الرشيد للسلطان عبد الرحمن على عكس ما لاحظناه في ختم السلطان نفسه، وكونه يمد النون في لفظ سليمان ليكتب فوقه تاريخ السنة. ويرد لفظ «فضل» هكذا بغير تعريف بدل الفضل، الذي يرد في الوثائق.

يظهر هذا الختم في الوثائق السابعة والرابعة عشر والخامسة عشر في مجموعة توبيانا.



شكل ١٨

ختم السلطان محمد الفضل الاول

(٢١) الختم الثاني

بيضوي الشكل وحجمه مثل حجم الأول، وأبعاده أيضاً غير معروفة. بطرفه طوقان ظلل ما بينهما بخطوط صغيرة مستقيمة، وهو مقسم إلى ستة أقسام بخمسة خطوط أفقية مزوجة تنتهي اطرافها إلى محيط الختم.

(٢٣) الختم الرابع

ختم دائري الشكل وحجمه كبير.

طرفه يتكون من تسع شبه دوائر صغيرة والنقش فيه غير واضح. وقد ورد في مجلد اركل والمعاليا برقم ١ و٢.

(٢٤) ختم يوسف بن فطر

لا نملك عن يوسف بن فطر قدراً من المعلومات أكثر مما تعطيه وثيقته وهو يلقب بأمين السلطان والوزير والمقدوم.

وختمه مضلع الشكل صغير الحجم وله ثمانية أضلاع. بطرفه طوقان وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام بخطين أفقيين كل منهما مزدوج وينتهيان إلى محيط الختم. وليس به أي زخرف.

أما الكتابة فيه فترد في ثلاثة سطور بخط مميز على النحو التالي، سطر أول: الأمين، سطر ثاني: مقدوم، سطر ثالث: يوسف.

ويلاحظ أن الختم غير مؤرخ ولا يظهر فيه اسم والد الأمين يوسف.

ورد هذا الختم في الوثيقة الثانية من مجموعة توبيانا.



شكل ٢٠

ختم يوسف بن قطر

ختم السلطان علي دينار سلطان الفور

ولد السلطان علي دينار حوالي ١٨٦٥ وهو حفيد السلطان محمد الفضل. وقد قاوم الإدارة التركية والمهدية ثم استسلم وبقى في أم درمان حتى كان الفتح. عاد إلى الفاشر مسرعاً وأعلن نفسه سلطاناً واستطاع أن يفرض النظام والطاعة على أنحاء دارفور. دخل في صراع مع الرزيقات والقبائل العربية

الأخرى، ساءت علاقاته مع الأنجليز وأعلن الجهاد وقتل في ١٩١٦م، وانتهى بذلك ملك دارفور.

وكان علي دينار مغرماً بالأختام، فقد فاق كل ما عداه في عدد أختامه وتنوع أشكالها. وقد رصدنا له حوالي ثمانية أختام كان أولها ما أتخذه عندما كان مطالباً بعرش آبائه. وقد اتبع في أغلبها نظاماً يخالف النظام المعروف عند زعماء الفور. فهو أقل احتفاء بذكر أسماء الآباء والأجداد وألقابهم في أختامه.

ونورد فيما يلي وصفاً لبعض أختامه ونحيل من يريد الزيادة إلى كتابنا (الفور والأرض).

(٢٥) الختم الأول:

ختم دائري الشكل، وطول قطره يساوي ٦ سم. ويحاط المكتوب فيه بدائرتين. ويضع علي دينار ختمه هذا في منتصف الجزء الأعلى من الوثيقة.

والختم مقسم إلى خمسة أقسام بأربعة خطوط أفقية مزدوجة يتصل طرفاه بمحيط الدائرة الداخلية، وتتساوى المسافات بينها في الثلاثة أقسام العليا، بينما تصغر المسافة في الرابعة وتتسع في الخامسة قليلاً مما يدل على أن الخطوط كانت توضع بعد الفراغ من الكتابة. وهناك زخرف غير كامل الوضوح في السطر الثالث فوق لفظ (محمد) ولكنه أشبه بشكل هلال أو قوس.

وترد الكتابة في الخمسة سطور على الوجه التالي:

سطر أول: ملك السلطان، سطر ثاني: محمد علي بن زكريا، سطر ثالث: ابن السلطان محمد، سطر رابع: ابن السلطان عبد الرحمن، وفي السطر الخامس: ابن الرشيد، وهكذا يكتمل لفظ الرحمن في السطر الخامس.

ويلاحظ إنه يذكر أباه من غير لقب، ويلاحظ أيضاً إثبات الألف في لفظ ابن والهمزة في لفظ زكريا بخلاف قاعدة الإملاء. والختم غير مؤرخ ولكنه ظهر في سنة ١٨٩٠ في وثائق موجهة من علي دينار إلى الأمير محمود ود أحمد عامل الخليفة في دارفور، ومن ذلك يتبين انه الختم الذي اتخذه عندما أعلن نفسه سلطاناً على دارفور بعد مصرع ابي الخيرات.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً الوثيقة مهدية ١٤٦/٢/٥.



شكل ٢١

ختم السلطان على دينار الاول

(٢٦) الختم الثالث

شكله مربع مقطوع الزوايا حيث تكون أركانه أضلاعاً صغيرة يبلغ طول الضلع فيها ٠,٨ سم، أما ضلع المربع الكبير فيبلغ طوله ١,٧سم. بالختم طوق داخلي ظللت المسافة بينه وبين حد الختم بشكل زخرفي متشابك ببعضه يشبه علامة الضرب. ويقسم الختم إلى ثلاثة أقسام. ويفصل بين كل قسم والآخر خطان أفقيان ظللت المسافة بينهما بالزخرف نفسه. وتنتهي أطراف الخطوط عند طوق الختم. وتوجد أيضاً نقوش زخرفية صغيرة، انظر مثلاً تحت حرف العين والصاد في لفظ المعتصم في السطر الأول. وتحت لفظ (الله) نجد نقشاً في شكل الرقم ٤، وفي السطر الثاني تحت التاء من لفظ المتوكل يظهر نقش بشكل محدب له امتداد صغير، وتحت الكاف يظهر نقش بشكل هلال، وفوق اللام نجد نقشاً صغيراً يشبه رأس السهم.

أما المكتوب فيه فيرد في ثلاثة أسطر على المنوال التالي، سطر أول: الواثق بالله المعتصم بالله، سطر ثاني: المتوكل على الله من السلطان، سطر ثالث: علي دينار بن السلطان زكريا. وتحت ذلك كتب التاريخ وهو ١٣١٦.

ويلاحظ هنا النص على الإبتهال بالإعتصام والتوكل وأنه أضفى لقب السلطان على أبيه زكريا مع أنه لم يكن سلطانا ولا كان من المطالبين بعرش الفور.

ورد هذا الختم في وثيقة واحدة صادرة في سنة ١٣٢١.



شكل ٢٢
ختم السلطان على دينار الثالث

(٢٧) الختم الخامس:

ختم دائري الشكل كبير الحجم يبلغ قطره ٥,٧ سم بطرفه خطان دائريان ظللت المسافة بينهما وبين حد الختم بشكل زخرفي يتكون من مثلثات صغيرة. والختم مقسم من الداخل إلى خمسة أجزاء يفصل بين الجزء والآخر خطان أفقيان ينتهي طرفاهما عند محيط الختم ولكن لا تظهر تلك الخطوط الفاصلة واضحة ما عدا الخط الأول.

ونجد نقشاً زخرفياً في السطر الخامس على الطرف الأيمن منه وفوق الراء من لفظ بكر فيما يشبه رأس السهم.

أما الكتابة فترد في خمسة أسطر كالآتي: سطر أول: السلطان علي دينار، سطر ثاني: ابن السلطان زكريا بن السلطان، سطر ثالث: محمد فضل ابن السلطان، سطر رابع: عبد الرحمن الرشيد ابن السلطان، سطر خامس: بكر ١٣١٦.

وقد ورد هذا الختم في الوثائق التالية في قسم المتنوعات: ٨٥٤ الصادرة في سنة ١٣١٧ و٨٥٨ الصادرة في سنة ١٣٢٤ و ٨٦٦ الصادرة في سنة ١٣٣٢ و ٨٦٤ الصادرة في سنة ١٣٣٢. ومن توالي هذه التواريخ يبدو أن صدور الختم كان بعد فترة من توليه السلطنة.



شكل ٢٣

ختم السلطان علي دينار الخامس

(٢٨) الختم السادس:

ختم بيضوي الشكل ولكن باستطالة أفقية شديدة، وتبلغ أبعاده القصوى ٣,٧ و٢,٥ سم. وبطرفه خط يسير مع حد الختم وظللت المسافة بينه وبين حد الختم بزخرف يتكون من دوائر صغيرة. الختم مقسم إلى ثلاثة أقسام بخطين أفقيين مزدوجين ينتهي طرفاهما عند محيط الختم.

أما الكتابة فترد في الأقسام الثلاثة للختم على النحو التالي: قسم أول فيه سطر واحد هو: المعترف بذنبه والتقصير، قسم ثاني به سطران، أولهما: السلطان المنصور بن السلطان، وثانيهما: علي دينار بالله تعالى زكريا، ويأتي مكتوب هذا القسم في ثلاث دفعات هي: السلطان علي دينار على يمين الختم، ثم: المنصور بالله تعالى، في الوسط، ثم: ابن السلطان زكريا على الشمال. وفي القسم الثالث سطران أولهما ابن المرحوم السلطان محمد الفضل، وثانيهما التاريخ وهو ١٣١٦.

والمكتوب حسب النص يكون كالآتي: المعترف بذنبه والتقصير، المنصور بالله تعالى، السلطان علي دينار، بن السلطان زكريا، بن المرحوم السلطان محمد الفضل، ١٣١٦. أي ان توالى الرسم في الختم يغير تواليه في ترتيب الكلام.

ورد هذا الختم في الوثائق التالية في قسم المتنوعات: ٨٥٣ الصادرة في شوال ١٣٢١ ووثيقة ٨٥٦ الصادرة في ١٣٢٤ و٨٥٧ الصادرة في ١٣٢٧ و ٥٤١ الصادرة في ١٣٣٤.



شكل ٢٤

ختم السلطان على دينار السادس

(٢٩) ختم القرقيض خليل بين الملك رمضان

لا نعرف شيئاً عن القرقيض خليل، إذ ان اسمه لا يرد في أخبار دارفور. ولكن يبدو انه كان من رجال السلطان المهمين.

وختمه بيضوي الشكل صغير الحجم.

ويحاط الختم بنطاق تظلله خطوط صغيرة مستقيمة، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام بخطين أفقيين مزدوجين ينتهي طرفاه عند محيط الختم.

أما المكتوب فيرد بخط مميز في ثلاثة أسطر كالآتي، سطر أول: القرقيض، سطر ثاني: خليل بن الملك، سطر ثالث: رمضان. ولقب الملك يطلق على حكام بعض أقاليم دارفور.

ورد هذا الختم في الوثيقة الأولى في مجموعة توبيانا، (انظر شكل ١١ في كتاب الفور والأرض).



شكل ٢٥

ختم القرقيض خليل بن رمضان

(٣٠) ختم السلطان محمد يوسف سلطان ودّاي

هو السلطان محمد يوسف بن محمد شريف سلطان ودّاي بشمال جمهورية تشاد الآن، كان من اتباع الطريقة السنوسية وقد كتب إليه المهدي فاتخذ خطاً مسالماً لا يؤيد ولا يعارض.

وصف الختم:

ختم دائري الشكل طول قطره يساوي ٤,٧ سم، لوحظ أنه غالباً ما يوضع بميلان قليل في أعلى المكتوب. بطرفه طوقان دائريان تساوي المسافة بينهما المسافة بين حد الختم والطوق الخارجي. والختم مقسم إلى ستة أقسام بخمسة خطوط أفقية مزوجة تنتهي اطرافها في محيط الدائرة الداخلية. والمسافات بينها متساوية تقريباً. وهناك أشكال زخرفية تتكون من ثلاثة خطوط تتجه إلى بعضها من الجهة السفلى فيما يشبه رأس حربة تتكرر فوق لفظ السلطان في السطر الأول والثاني والثالث والرابع وفوق لفظ العباسي في السطر الخامس. وفي السطر السادس يوجد فوق التاريخ خط أفقي متعرج فوقه. وحول طرفيه مجموعة من خطوط صغيرة ربما قصد بها لفظ سنة أو أتى بها الحفار لمجرد ملء الفراغ.

أما الكتابة ففي ستة أسطر على المنوال التالي: سطر أول: ملك السلطان، سطر ثاني: محمد يوسف بن السلطان، سطر ثالث: محمد شريف بن السلطان، سطر رابع: محمد صالح ابن السلطان، سطر خامس: صليح العباسي، وسطر سادس كتبه فيه التاريخ وهو ١٢٩٣هـ.

نلاحظ أن الأسماء مركبة: محمد يوسف، محمد شريف، الخ. وتلك عادة الفور ومن والاهم إلى الغرب أيضاً.

ويلاحظ اثبات الألف في لفظ ابن بخلاف قاعدة الإملاء، كما أن بعض الحروف اتخذت شكلاً مميزاً كحرف الحاء المقطوع في لفظ صالح وصليح، كذلك كتب في التاريخ الرقم ٩ معكوس، وأخيراً يرد في السطر الرابع لفظ «العباسي» اشارة إلى انهم ينتمون إلى العباس عم الرسول.

ورد هذا الختم في تاريخ نعوم، طبعة بيروت ص ٤٨٥ وفي وثائق كثيرة في قسم المهدية. انظر مثلاً المهدية ٢/٥/٢ بدار الوثائق المركزية.



شكل ٣٦
ختم السلطان محمد يوسف
سلطان وداى

(٣١) ختم السلطان حسين الرشيد بن محمد عجيب ابي كوده:

بعد خروج جيش محمود ود أحمد من دارفور للمشاركة في صد الجيش الغازي، هب الفور لاستعادة ملكهم. وكان في طليعتهم حسين بن محمد أبي كودة الذي أعلن نفسه سلطاناً. وهو ينتمي إلى بيت الملك في دارفور من جهة أمه، وما ادعاه من انتماء من جهة أبيه مشكوك في أمره. وقد ذهب ملكه بمجئ علي دينار.

وختمه دائري الشكل وهو من الحجم الكبير وإن كانت ابعاده غير معروفة لأنه يرد في وثيقة غير أصلية.

لا يبدو من الكتابة إلا لفظ السلطان في السطر الأول ولفظ الحسين في السطر الثاني، ويبدو أن تخطيطه كان يتكون من أربعة أسطر وأن خطين أفقيين كانا يفصلان بين كل سطر وآخر.

وقد ورد هذا الختم في وثيقة صادرة منه في ٢ جماد آخر سنة ١٣١٦هـ وهي بمجموعة المتنوعات بدار الوثائق المركزية.

(٣٢) ختم السلطان أحمد غزالي:

وهو حفيد السلطان محمد يوسف سلطان ودّاي. وختمه دائري الشكل، ويتكون المكتوب فيه من سبعة أسطر، وبين كل سطر وآخر خط أفقي يمتد على عرض الختم. أما نص المكتوب فيأتي على الوجه التالي: سطر أول: ملك السلطان، سطر ثاني: أحمد غزالي بن السلطان، سطر ثالث: محمد علي ابن السلطان، سطر رابع: محمد شريف ابن السلطان، سطر خامس: محمد صالح ابن السلطان، سطر سادس، صليح العباس، سطر سابع، غير واضح . وهو مكان وضع التاريخ، وهذا الختم شبيه بختم جده محمد شريف.

وقد ورد ختمه هذا في وثيقة صادرة منه في سنة ١٣١٩هـ. انظر متنوعات ١/ ٣٠/ ٥٥٥ بدار الوثائق المركزية.

(٣٣) ختم السلطان عز الدين بن القاضي موسى

وهو من قضاة دارفور وقد وصفه التونسي بأنه كبير القضاة.

وختمه دائري الشكل، صغير الحجم، إذا ما قُورن بأختام السلاطين.

نقشه في الطرف ويأتي في شكل دوائر صغيرة وبينه وبين الداخل خط دائري، ويتكون المكتوب من أربعة أسطر ويفصل بين كل سطر والآخر خط أفقي، ونص المكتوب كالآتي: سطر أول: القاضي، سطر ثاني: عز الدين ابن، سطر ثالث: القاضي موسى، سطر رابع: سنة ١٣٢٣ . ويأتي تاريخ السنة فوق لفظ سنه. والتاريخ نفسه لا يظهر بشكل مؤكد.

يرد ختمه في وثيقة واحدة، متنوعات رقم ٨٦٣ بدار الوثائق المركزية.

(٣٤) ختم السلطان إبراهيم قرض:

وهو آخر سلاطين الفور، وقد تولى الملك بعد أبيه في سنة ١٨٧٤م، قتل على يد الزبير باشا رحمة في ١٨٧٥م.

لم نقف له على وثيقة ما وبالتالي لم نقف على ختمه. غير أن نص مكتوبه

قد ورد في تاريخ نعوم شقير وهو كالآتي: ملك أمير المؤمنين السلطان إبراهيم، بن السطان حسين، ابن السلطان محمد الفضل ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد، ابن السلطان أحمد بكر، ابن السلطان موسى، ابن السلطان سليمان، صاحب البر والإحسان، يوم الأحد أثنين وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٠هـ.

لا يبين نعوم شقير ترتيب السطور ولكن من الواضح أن ختمه هذا يشبه الختم الأول من ختمي والده.

(٣٥) ختم حكمدار السودان في التركية

وهو ختم صغير الحجم وبه عبارة ممالك سودانية في سطرين، ويبدو أنه ختم أوائل العهد التركي المصري.



شكل ٢٧

ختم الحكمدارية فى العهد التركى المصرى

(٣٦) ختم مديرية كردفان أبان الحكم التركي المصري

ختم دائري الشكل، طول قطره ٢ سم، وليس به نقش زخرفي، أما الكتابة فيه فبخط واضح شغل كل حيز الختم ما عدا الطرف الأيمن في أعلاه.
والمكتوب هو عبارة «مديرية كردفان»، وقد قسم لفظ مديرية فكتب في سطرين، سطر أول: «يرية» وسطر ثاني: (مد). والسطر الثالث: كردفان، وتحته كتب

التاريخ، وهو قريب من ١٨٢٠، هكذا بالتاريخ الميلادي على عكس الأختام السابقة والتي نصت بالتاريخ الهجري.
ورد هذا الختم في وثيقة من وثائق المهدية برقم ٢/٧ بمجلد وثائق مختلفة.



شكل ٢٨
ختم مديرية كردفان في العهد التركي المصري

أختام الإمام المهدي

لا نظننا في حاجة إلى التعريف بالإمام المهدي، وقد تكلمنا عن أمر أختامه فيما سبق. وقد رصدنا للمهدي أربعة أختام صدر اثنان منها قبل المهدية وصدر الآخران اثناء المهدية.

(٣٧) الختم الأول:

وهو أقدم أختام المهدي المعروفة، وقد أتخذه في احتمالنا في سنة ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م عندما أجازه أستاذه الشيخ محمد شريف لاعطاء الخلافة لمن يستحق من المريدين وصار يستعمله لفترة قصيرة، وهذا الختم بيضوي الشكل إلا أن أبعاده غير معروفة لأننا أعتمدنا على وثيقة مصورة. ويتكون مكتوبه من أربعة أسطر. في السطر الأول: لا إله إلا الله، وفي السطر الثاني: محمد رسول الله، وفي السطر الثالث: محمد أحمد عبد الله، وفي السطر الرابع: التاريخ وهو ١٢٩٢هـ.

وقد ظهر في وثيقة واحدة (المرشد رقم ١) كتبها المهدي قبل سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م مجيزاً بها أحد أتباع السمانية بمرتبة الخليفة نيابة عن استاذه الشيخ

محمد شريف نور الدائم، والتاريخ الذي رسمه هو تاريخ حصوله على إعطاء الاجازة من محمد شريف وهو نفس التاريخ الذي رسمه في الختم الرابع.

(٣٨) الختم الثاني:

وقد حل محل الأول في تاريخ غير معروف وإن كان من المحتمل أن يكون بعد انفصاله عن محمد شريف.

وهو ختم بيضوي الشكل، وأبعاده أفقياً وعمودياً في حدود ٢ سم، وهو شبيه الأول في نقشه تماماً إلا أن تاريخه غير ظاهر، ويبدو أن الختم كان متآكلاً من هذا الجانب، وقد ظل مستعملاً حتى ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م.

ورد هذا الختم في الوثائق الاصلية الصادرة حتى ١٢٩٩.

(٣٩) الختم الثالث:

شكله مضلع غير منتظم، له ثمانية أضلاع، طول الضلع الرئيسي يساوي ١,٩ سم تقريباً، وطول الضلع بالأركان يساوي ٩ سم. به طوق خارجي، وهو مقسم إلى ٩ أجزاء بأربعة خطوط مستقيمة، اثنان منها رأسيان وآخران أفقيان.

توجد بالختم نقوش زخرفية كثيرة، ففي الأقسام الأربعة الصغيرة التي على أركان الختم يظهر زخرف بشكل زاوية حادة، وفي القسم الأوسط يظهر زخرف بشكل كوكبة صغيرة يتكرر فوق الميم من لفظ (المهدي) وتحت حرفي الدال والياء من اللفظ نفسه. وبين هاتين الكوكبتين الأخيرتين تظهر نقطة ربما كانت أحدى نقط الياء في لفظ المهدي أو ربما كانت هذه النقطة مجرد زخرف بينما الكوكبتان هما نقطتا الياء. ويوجد فوق حرف الياء أيضاً نقشان آخران أحدهما بشكل مقعر وله امتداد صغير والثاني يشبه الرقم (١). وفي مركز الختم زخرف واضح يتكون من رؤوس أسهم متلاصقة تسير في خط في وسط الختم تقريباً.

أما الكتابة فترد في وسط الختم وعلى جانبيه، فالتي في وسطه ترد في أربعة أسطر على النحو التالي، سطر أول في الجزء العلوي: بسم الله الرحمن الرحيم، سطر ثاني في الجزء الأوسط: محمد المهدي، وسطر ثالث في نفس الجزء ابن

عبد الله، ثم السطر الرابع في الجزء الأسفل من الختم: ١٢٩٩ وهو التاريخ، أما الكتابة التي على الجانب الأيسر فهي عبارة عن: لا إله إلا الله، وعلى الجانب الأيمن: محمد رسول الله.

وذكر أحد طلابي بالجامعة الإسلامية في أجوبة إمتحان ١٩٨١م عن هذا الختم: «أحاط المهدي اسمه من كل الجهات باسم الجلالة، من أعلى في رسول الله ومن أسفل في الشهادة ومن الشمال في البسلمة لحفظه من كل مكروه ومن كل شيطان. ولما اكتشف أن الطرف الأيمن به التاريخ وليس به اسم الجلالة استدرك بأن جهة اليمين دائماً محاطة بالملائكة في أي مكان وأي زمان فلا يمكن أن يجتمع الشيطان في مكان فيه ملائكة، ثم أن الرقم ١٢٩٩ فيه إشارة صريحة إلى اسماء الله الحسنى أي (٩٩). ويلاحظ أن الطالب يضع الختم بحيث يكون التاريخ من اليمين، وقد أوردت هذا الذي جاء به الطالب لطرافته.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية بالقسم ٧ بمجلد وثائق مختلفة.

شكل ٢٩

ختم المهدى الثالث

(٤٠) الختم الرابع

هو ختم بيضوي الشكل ويبلغ بعداه ١,٦ و١,٥ سم. وله طوق خارجي. وقد قسم الختم إلى ثلاثة أقسام، ويفصل كل قسم عن القسم الثاني خط أفقي ينتهي طرفاه عند طوق الختم. وليس به نقوش زخرفية،

أما المكتوب ففي ثلاثة أسطر على المنوال التالي: سطر أول: لا إلاه إلا الله، سطر ثاني: محمد رسول الله، سطر ثالث: محمد المهدي عبد الله، وتحته على الطرف الأيمن ١٢٩٣وهو التاريخ.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية بقسم ٧ بمجلد وثائق العمالات وبيت المال.



شكل ٣٠

ختم المهدى الرابع

(٤١) ختم الخليفة عبد الله

لا نحسب أن القارئ ينتظر منا تعريفاً بالخليفة عبد الله، وقد تقدم الكلام عن ختمه وعما شرٌع بخصوص الأختام.

وهو ختم دائري الشكل وطول قطره يساوي ٢ سم، وبه زخرف بشكل نقطة في أعلاه على الجزء الأيسر منه، وعلى جانبه الأيسر نجد زخرفين بشكل سنة حرف السين الأول فوق حرف اللام من لفظ الوكيل، والثاني بالقرب من حد الختم. وهناك حركات الشكل المبينة على الحروف.

والمكتوب الذي ورد فيه هو عبارة «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وقد شغل كل حيز الختم، وهو يرتب العبارة بحيث يأتي لفظ الله في أعلاه، وتحته مباشرة لفظ

حسبنا ثم بعد نعم الوكيل، وتحت ذلك فوق حد الختم كتب حرف الواو الذي يتبع ونعم والتاريخ وهو ١٣٠٢.

وقد ورد هذا الختم في منشورات الخليفة عبد الله المعدة للتوزيع وفي الآلاف من خطاباته.



شكل ٣١

ختم الخليفه عبد الله

(٤٢) ختم حمدان أبو عنجة

حمدان أمير المهدية المشهور، عمل في الراية الزرقاء، وهو الذي أشرف على تكوين فرق الجهادية. قاد الحملة على جبال النوبة، ثم قاد قوات الخليفة في القلابات قبيل واقعتها المشهورة وقد توفي قبلها، وكان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل الثقة عنده.

وختمه بيضوي يبلغ بعداه ١,٦ سم و ١,٨سم.

تظهر عليه بعض الزخرف في شكل نقاط فوق لفظ عبدك كما يظهر زخرف في شكل رأس الحربة تحت لفظ عنجه.

أما الكتابة فقد وردت في ثلاثة أسطر على النحو التالي: سطر أول: وفق يا ذا القدرة، سطر ثاني: عبدك حمدان، سطر ثالث: أبي عنجه.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً مهدية ٢/٥ المجلد الأول وثيقة رقم ٣٤.



شكل ٣٢

ختم حمدان ابوعنجه

(٤٣) ختم أحمد سليمان

أمين بيت مال المهدية وصديق المهدي، وكان على خصام دائم مع الخليفة عبد الله وجماعته، أزيح عن بيت المال بعد وفاة المهدي ثم قتل بعد فتنة الأشراف في ١٨٨٩م.

أما ختمه فبيضوي الشكل ويبلغ بعداه ١,١ سم و٠,٩ سم، وبه زخرف واضح بشكل سيف على جانبي الختم الأيمن والأيسر وله ميلان ينفق ومسار حد الختم بجواره. كما يوجد أيضاً زخرف في أعلى الختم يتألف من خطوط ملتوية ومتداخلة مكونة شكلاً متكاملاً يشبه التاج.

أما الكتابة التي وردت به فهي اسم أحمد سليمان فقط، ويكون سليمان شكلاً مثلثاً يتصل رأسه بالزخرف الوارد في أعلى الختم، وكتب لفظ أحمد في منتصف ذلك المثلث، ولكن ينفصل الألف ليتصل بسين سليمان في قاعدة المثلث، ولا يبدو حرف النون في لفظ سليمان واضحاً ولكن ربما نتبينه من الزخرف العام بالختم فيكون شكل السيفين قاعدة المثلث الحرف وشكل التاج النقطة ويصير الشكل نوناً.

ورد هذا الختم في المهدية قسم ٧، وثائق العمالات وبيت المال، مجموعة ج.



شكل ٢٣

ختم احمد سليمان « امين بيت المال »

(٤٤) ختم محمد عبد الصادق

وهو شخص غير معروف، ولكن ختمه استهوانا بشكله المميز، وهو ختم دائري الشكل، وقطره يساوي ١,٤ سم. لوحظ أنه يوضع في مؤخرة المكتوب.

يوجد في أعلى الختم زخرف واضح عبارة عن شكل بيضوي له امتداد في طرفه الأيسر، وتظهر عليه ثمانية زوائد في شكل خطوط متصلة، ربما قصد

بهذا الشكل رمز معين. وتظهر نقوش فوق حد الختم الأسفل تشبه الرقم ٥٥ وغالباً ما يقصد به التاريخ.

أما ما كتب على الختم فهو اسم محمد عبد الصادق فقط، وقد جاء بحروف واضحة شغلت حيزاً كبيراً من الختم، فكتب في السطر الأول: محمد وتحته عبد الصادق.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر ٢/٥ المجلد الثاني ص ٩٦.



شكل ٣٤

ختم محمد عبد الصادق

(٤٥) ختم آدم بوش عيسى

يرد اسمه كثيراً في حوادث دارفور وما وراءها إلى الغرب ولكننا لم نتمكن من تحديد شخصيته.

وختمه بيضوي الشكل وله طوقان، خارجي أبعاده ١,٣ و١,٧ سم وداخلي أبعاده ٠,٧ و١,٢ سم، وقد ظللت المسافة بين الطوقين بشكل زخرفي متعرج.

وفي أعلى الختم فوق حرف الدال من لفظ آدم نجد شكلاً أشبه بالنجمة. وكذلك وضعت نقاط فوق حرفي الشين والباء بشكل أنجم صغيرة، وتحت حرف الميم من لفظ آدم يوجد زخرف في شكل دائرة صغيرة يحيط بها شكل دائري متعرج.

أما الكتابة فقد وردت في سطرين في الحيز الداخلي من الختم، فكتب في السطر الأول: آدم بوش، وفي السطر الثاني: لفظ عيسى، وفي نفس السطر على الجانب الأيسر من الختم كتب التاريخ هكذا ٢٠٠٤ والمقصود ١٢٠٤، وكما ترى فإنه يكتب حسب النطق أي ٢٠٠ و ٤.

ويلاحظ أن نقاط لفظ عيسى لم ترد في شكل أنجم كما هو الحال في نقاط بوش.

ورد هذا الختم كثيراً في وثائق المهدية، أنظر مثلاً مهدية ٢/٥ المجلد الأول وثيقة رقم ٣٦.



شكل ٣٥

ختم آدم بوش عيسى

(٤٦) ختم أبكر إسماعيل سلطان المساليت

تولى السلطنة بعد أبيه وقد حارب الأنصار والداجو وعلي دينار وسقط أسيراً في يد علي دينار الذي قتله فيما بعد انتقاماً لهزيمة جيشه على يد أحد أبنائه.

وختمه دائري الشكل طول قطره ٢ سم، بطرفه دائرة خارجية ولا يبدو عليه زخرف، أما الكتابة فيه فهي عبارة: وفق يا حليل أبكر إسماعيل، وترد الكتابة بخط مقروء في السطر الأول وغير كامل الوضوح في السطر الثاني والثالث، وهي على النحو التالي، سطر أول: وفق يا، سطر ثاني: خليل أبكر، سطر ثالث: إسماعيل.

ورد هذا الختم في وثيقة منه إلى الأمير عبد القادر دليل، انظر مهدية ٢/٥ المجلد الثاني الوثيقة ٩٤.



شكل ٣٦

ختم ابكر اسماعيل(سلطان المساليت)

(٤٧) ختم الحاج محمد الفاس

لا نعرف شيئاً عن هذا الرجل ولكننا أخذنا بختمه، وهو ختم دائري، ويبلغ طول قطره ١,٤ سم. لا يوجد بالختم زخرف. أما المكتوب فهو: الحاج محمد الفاس، وقد جاء ذلك بخط واضح مقروء شغل كل حيز الختم. ففي السطر الأول كتب: الحاج محمد، وفي الثاني كتب الفاس وتحته التاريخ وهو سنة ١٣٠٩هـ.

ورد هذا الختم في وثيقة منه إلى المدثر إبراهيم الحجاز، انظر المهدية ٢/٥ المجلد الثاني وثيقة ٥٠.



شكل ٣٧

ختم الحاج محمد الفاس

(٤٨) ختم حامد علي

وهو من أمراء التعايشة المقربين إلى الخليفة عبد الله، وقد حارب في مواقع كثيرة، وهو ممن استشهد مع الخليفة في أم دبيكرات.

وختمه بيضوي الشكل وبعداه ١,٦ سم، و ١,٣ سم، وتظهر فيه نقوش زخرفية متنوعة. ففي الشق الأيمن منه تحت حرف الواو من لفظ (وفق) نجد زخرفاً يتكون من قوسين صغيرين يتلاقيان من اسفل، ويتكرر هذا الزخرف في الشق الأيسر من الختم تحت لفظ (حامد)، ويظهر فوق حرف الباء من لفظ عبدك زخرف أشبه بشكل الهلال.

أما ما كتب على الختم فهو عبارة: وفق يا ماجد عبدك حامد، وقد جاءت بطريقة تشابكت فيها الحروف في بعض المواضع. فكتب في السطر الأول: وفق يا ماجد بكتابة الياء الممدودة فوق حرف القاف من لفظ وفق، وكتابة الحرفين الأخيرين من لفظ ماجد وهما (جد) فوق الحرفين الأولين منه وهما (ما). وفي السطر الثاني كتبت عبارة: عبدك حامد، بربط الكاف في نهاية لفظ عبدك بالحاء في بداية لفظ حامد.

وفوق حد الختم أسفل كتب التاريخ وهو سنة ١٣٠٢.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً مصرية ٥/٢ المجلد الثاني الوثيقة ٢ في رسالة منه إلى أحمد عبد الحميد.



شكل ٣٨

ختم حامد على

(٤٩) ختم حامد يحيى

وهو أمير صغير من أمراء المهدية لم يشتهر. وختمه دائري الشكل وقطره يساوي ١,٣ سم.

يظهر في وسط الختم على الجهة اليسرى نقش زخرفي واضح على شكل السهم، ويظهر نفس الزخرف بعد النقاط فوق الحد الأسفل من الختم، وفي الجهة اليمنى.

أما الكتابة التي وردت بالختم فهي: حامد يحيى، وقد ورد بخط مقروء، وكتب في السطر الأول لفظ حامد في السطر الثاني لفظ يحيى.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مهدية ٥/٢ المجلد الأول، وثيقة رقم ١٣.



شكل ٣٩

ختم حامد يحيى

(٥٠) ختم السلطان عبد الرحمن فرت

وهو سلطان قبيلة الزغاوة. وعند تحديد الحدود بين السودان والممتلكات الفرنسية وقعت بلاده في نصيب فرنسا. وقد قاومهم. وفي ١٩١٢م تمكنوا منه بمعاونة أحد أقربائه فقتل.

وختمه دائري الشكل، طول قطر يساوي ٤,٢ سم، وقد وضع الختم كعادة الفور في صدر الصفحة في الجزء العلوي منها.

ويحاط الختم بطوق ظللت المسافة بينه وبين حد الختم بخطوط دقيقة مستقيمة، وقسم الختم من الداخل إلى أربعة أقسام بواسطة ثلاثة خطوط أفقية مزدوجة تتصل أطرافها بمحيط الطوق، والمسافات بينها متساوية تقريباً.

تظهر على الختم نقوش زخرفية كثيرة. ففي السطر الأول تحت لفظ ملك يظهر عدد من النقاط في خط مستقيم، وفوق حرف الميم والكاف من اللفظ نفسه تظهر مجموعة من النقاط. وفي السطر الثاني تحت لفظ عبد نجد زخرفاً في شكل عدد من الخطوط الصغيرة الرأسية تقاطع خطاً أفقياً وفوق حرف الدال من اللفظ نفسه نجد زخرفاً يشبه علامة الضرب، وهناك أيضاً أشكال زخرفية تتكون من ثلاثة خطوط تتجه إلى بعضها من الجهة اليسرى فيما يشبه رأس حربة تتكرر فوق عبارة «السلطان عبد» في السطر الثاني وفوق عبارة «الرحمن فرت» في السطر الثالث.

أما الكتابة ففي أربعة أسطر على المنوال التالي: سطر أول: ملك، سطر ثاني: السلطان عبد، سطر ثالث: الرحمن فرت، سطر رابع: ١٢٩٣ وهو التاريخ، وقد كتب بأرقام معكوسة وبترتيب معكوس.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر ٢/٥ المجلد الثاني وثيقة ١٠٠.



شكل ٤٠

ختم السلطان عبد الرحمن فرت

(٥١) ختم حمودة إدريس

وهو أمير من الهبانية، وكان أميراً لنقطتي صواردة وفركة، وقد استشهد في واقعة فركة سنة ١٨٩٦م.

ختمه بيضوي الشكل وأبعاده ١,٤ و١,٢ سم.

تظهر فيه نقوش زخرفية كالتي في أعلاه فوق لفظ حموده حيث يبدو على شكل رؤوس اسهم أو خطوط صغيرة مائلة ومتصلة ببعضها، ويمتد بعدها خط منحن بمحاذاة الحد الأيسر من الختم ليتصل في أسفل الختم بزخرف يميل شكله إلى كتابة الأرقام التي توضح عادة التاريخ.

أما الكتابة في الختم فهي: حموده إدريس، مكتوباً في سطرين بخط واضح شغل كل الحيز بالختم. وكتب في السطر الأول حموده بملامسة حرف الهاء للخط المائل في أيسر الختم، وفي السطر الثاني إدريس، وتحته يظهر نقش أشبه بشكل الأرقام التي توضح التاريخ، إلا أن ذلك غير واضح.

ورد هذا الختم في وثيقة من حمودة إدريس إلى يونس الدكيم، انظر وثائق المهدية ٥/٢ المجلد الأول وثيقة رقم ٨.



شكل ٤١

ختم حمودة ادريس

(٥٢) ختم حيات بن سعيد

وحيات من احفاد عثمان دان فودي مصلح نيجيريا العظيم، وقد هاجر من بلاده إلى الشرق وبقي مع رابح فضل الله فترة. وقد اتصل به المهدي ثم الخليفة بعده لينضم إلى المهدية فرحب بالأمر ولكن دون أن يقدم. وقد توجس منه رابح فقتله.

وختمه بيضوي الشكل وأبعاده ١,٤ و٣,١سم.

ويرد في الختم زخرف في شكل خطوط صغيرة متقطعة ونقاط تظهر في الجزء الأسفل منه في المساحة غير المكتوبة.

أما المكتوب الذي ورد بالختم فهو عبارة: وفق يا مجيد حيات بن سع يد، وقد جاءت بطريقة تظهر الختم مقسماً إلى قسمين، وكتب في الجزء الأعلى عبارة وفق يا مجيد وتحته كتب: حيات بن سعيد، وقد جعل حرف التاء المفتوحة من لفظ حيات فاصلاً بين القسمين.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً مهدية ٥/٢ رقم ٣١.



شكل ٤٢

ختم حيات بن سعيد

(٥٣) ختم عبد الرحمن إدريس

وهو شخص لم نهتد إلى هويته، بيد أن له ختماً مميزاً، وهو ختم مربع الشكل طول ضلعه يساوي ١,٦ سم، ويلاحظ وضعه دائماً بميلان في أسفل الصفحة.

ولا يرد في الختم نقش زخرفي ظاهر، ولكن بأسفل الختم بين حرفي الألف والدال من لفظ إدريس يتبين نقش يقارب شكل نجمتين، وفي أعلى الختم فوق حرف العين من لفظ (عبد) يظهر عدد من النقاط الصغيرة.

أما المكتوب الذي ورد في الختم فهو عبد الرحمن إدريس، وقد جاء مكتوباً في ثلاثة أسطر، في السطر الأول: عبد الر، وفي السطر الثاني: حمان، وفي الثالث: إدريس.

ويلاحظ أن الحروف كتبت بخط مميز هو الخط الصحراوي، مثلاً حرف العين في لفظ عبد والسين في لفظ إدريس. كما يلاحظ أن الضلعين العموديين في المربع المكون للختم مستقيمان وان الأفقيين فيهما بعض التعاريج.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية مثلاً أنظر ٢/٥ المجلد الثاني الوثيقة ٣٥.



شكل ٤٣

ختم عبد الرحمن ادريس

(٥٤) ختم خليل إبراهيم

وهو من أمراء المهدية.

وختمه بيضوي الشكل وأبعاده ١,٤ و١,٢ سم. وترد فيه نقوش زخرفية واضحة، ففي أسفله في الطرف الأيسر فوق حرف الميم من لفظ إبراهيم يظهر زخرف على شكل نجمة ذات ثمانية أطراف، وفي أعلى الختم في الطرف الأيسر أيضاً نجد زخرفاً فوق حرف اللام من لفظ خليل يقارب شكله شكل السهم.

أما المكتوب الذي ورد في الختم فهو: خليل إبراهيم، وهو مكتوب بخط واضح وحروف مستقيمة في سطرين، في الأول خليل وفي الثاني إبراهيم. وتحت لفظ إبراهيم جاء التاريخ وهو ١٣٠٦.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية انظر ٥/٢ المجلد الثاني الوثيقة الثالثة.



شكل ٤٤

ختم خليل ابراهيم « من امراء التعايشه »

(٥٥) ختم رأس بنود منقشا

وهو كما ترى من أسمه اثيوبي وختمه دائري قطره يساوي ٢ , ٤ سم، وقد لوحظ أنه يوضع في نهاية المكتوب في منتصف الصفحة. وبه ثلاثة أطواق دائرية، طوق خارجي يبلغ قطره ٤ سم وطوقان داخليان تقرب المسافة بينهما. وتقسم تلك الأطواق الختم إلى قسمين واضحين. قسم خارجي بين الطوق الأول والطوق الثاني ويرد فيه النقش الكتابي وقسم داخلي يحيط به الطوق الداخلي وفيه نقش زخرفي يتألف من شكل واحد يتكرر أربع مرات في أعلى وأسفل، وبجانبي مركز الختم، ويتكون هذا الشكل من ثلاثة أقواس صغيرة قوس علوي وقوسان جانبيان تتصل أطرافها بخطوط بها بعض الإنحناء لتكون شكلاً متكاملاً خارجياً. وفي داخل هذا الشكل يرد شكل رباعي، أما المسافة بين الطوقين الثاني والثالث فقد تركت خالية، وترد الكتابة باللغة الأمهرية في شكل دائري بين الطوق الخارجي والطوق الثاني ولم نهتد إلى قراءته.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر ٢/٥ المجلد الثاني الوثيقتان ٧٨ و٩٨.



شكل ٤٥

ختم رأس بنود منقشا

(٥٦) ختم إدريس أبو بكر

وهو مجهول الهوية عندنا. إلا أن ختمه طريف، وهو بيضوي بأبعاد ١,٥ و١,٤ سم. وبطرفه طوقان.

توجد بعض النقوش فوق الحد الأسفل من الختم فيما يشبه شكل أرقام ربما قصد بها التاريخ.

كتب على الختم: إدريس أبو بكر، بخط واضح ملأ كل الفراغ، وقد جاء في سطرين، في الأول إدريس وفي الثاني أبو بكر، وتحت لفظ أبوبكر كتب التاريخ الذي لم نستطع أن نتبين منه خلاف الرقم ٩٥، وربما كان التاريخ ١٢٩٥.

ورد هذا الختم في وثيقة منه إلى محمود ود أحمد أمير عموم دار الغروب. انظر المهدية ٥/٢ المجلد الثاني وثيقة ٢٩.



شكل ٤٦

ختم ادريس ابوبكر

٥٦) ختم الحسن سعد محمد العبادي

أمير المهدية ومن علمائها المرموقين ومؤلف رسالة العبادي المشهورة في الدفاع عن المهدي.

ختمه بيضوي الشكل يبلغ بعداه ١,٧ و ١٢,١سم، وتوجد على الختم نقوش زخرفية صغيرة غير واضحة في الجزء العلوي.

أما المكتوب فهو: الحسن سعد محمد، ويرد ذلك بخط واضح مقروء، ويأتي ترتيبه من أسفل إلى أعلى حيث كتب في السطر الثالث الحسن وفي الثاني سعد وفي الأول فوق حرف السين من لفظ سعد كتب لفظ محمد الذي احتل مساحة صغيرة إذا ما قورنت بكتابة الاسمين الآخرين.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً ٥/٢ المجلد الثاني وثيقة ٩٣.



شكل ٤٧

ختم الحسن سعد محمد العبادى

(٥٨) ختم إسحق بن السلطان محمد

وهو من سلاطين الغروب، ولكننا لا نعرف عنه أكثر من ذلك، وله ختم دائري، قطره يساوي ٣,٨ سم، وقد لوحظ أنه يوضع في الجزء الأيسر في أعلى الصفحة وبطرفه طوقان ظللت المسافة بين خارجها وبين حد الختم بخطوط مستقيمة. والختم مقسم إلى ثلاثة أقسام بخطين أفقيين كل منهما مزدوج ويتصل طرفاه بالطوق الداخلي، ويربط بينهما على جانبي الدائرة قوسان كل منهما مزدوج أيضاً، والإنحناء فيهماإلى الداخل مما يضيف إلى أقسام الختم جزئين صغيرين فتصير أقسامه خمسة. وهنالك نقش زخرفي يشبه شكل هلال يكرر تحت الحاء من لفظ إسحق في السطر الأول وتحت اللام من لفظ السلطان في السطر الثاني وفوق الحاء من لفظ محمد في السطر الثالث، وتحت الدال من نفس اللفظ يظهر زخرف على شكل زاوية حادة ربما يدل على رأس السهم أو ربما كان أحد أرقام التاريخ.

أما الكتابة في الختم فهي: إسحق ابن السلطان محمد، وقد كتب بحروف معكوسة، وفي اتجاه معاكس، لأن النقش في جسم الختم جرى على العدالة على النحو التالي: سطر أول: إسحق، سطر ثاني: ابن السلطان، حيث كتب الحرف الأول وهو الألف في (ابن)، والحرف الأخير وهو النون في «السلطان» في الحيز الذي بين القوسين وحد الختم. وفي السطر الثالث كتب محمد، وتحته التاريخ وهو ١٣١٦.

ورد هذا الختم في وثائق المهدية، انظر مثلاً ٥/٢ المجلد الثاني وثيقة ٤٠.



شكل ٤٨

ختم اسحاق بن السلطان محمد

(٥٩) ختم ديوان حاكم عام السودان

وهو ختم مكتب الحاكم العام الذي صنع في أول العهد الثنائي، ولذلك ورد لفظ حكمدار الذي استعمل في العهد التركي مع أن اللقب الذي اتخذه في العهد الثنائي هو حاكم عام السودان.

ختم بيضوي الشكل كبير الحجم وأبعاده تساوي ٥,٨ سم و٤,٧ سم، له طوق خارجي ونطاقان، نطاق داخلي هو مركز الختم ونطاق خارجي حول المركز.

وبه زخارف واضحة أشبه بعلامات الشكل، ومن ذلك الزخرف الذي يتكرر فوق وأسفل لفظ ديوان وفوق الراء من لفظ حكمدار، وفي أسفل الختم تحت لفظ السودان.



شكل ٤٩
ختم ديوان حكمدار السودان

ووجد نقش آخر يشبه الضمة أخذ اتجاهات مختلفة، وتكرر فوق حرف النون في لفظ ديوان، وعلى جانب الحاء وتحته وفوق الميم والراء من لفظ حكمدار، ثم على جانب الألف وفوق الدال والنون والواو في لفظ السودان. وأيضاً تحت الواو في نفس اللفظ.

ويرد زخرف ثالث يشبه حرف الألف يتكرر أيسر الحاء وتحت الكاف وفوق الراء من لفظ حكمدار، وتحت حرف السين في لفظ السودان يوجد زخرف يشبه سنة الحرف نفسه، وفوق طرفي حرف النون ترد نقطتان أحداهما نقطة النون والأخرى يقصد بها الزخرف. هذا غير الشكل الزخرفي الواضح على الجانب الأيسر من أسفل الختم والذي غالباً ما يدل على رمز معين. وعلى يمينه نجد زخرفاً عبارة عن مستطيل صغير يمتد بين النطاقين وينتهي بشكل زخرفي خارج الطوق بداخله زخرف مستدير وآخر واوي الشكل. كما ترد بعض الزخارف على شكل خطوط رأسية صغيرة وشكل مستدير بين هذين الزخرفين.

أما المكتوب فيرد في دفعتين باللغة العربية بخط واضح متشابك شغل كل حيز النطاق الداخلي، وباللغة الأنجليزية في النطاق الخارجي، فما كتب باللغة العربية هو عبارة «ديوان حكمدار السودان»، وقد جاء لفظ ديوان أولاً وفي المنتصف لفظ حكمدار وفي أسفله لفظ السودان، ويلاحظ أن النص هنا على الحكمدار وليس على حاكم عام كما هو الإصطلاح الرسمي. وكتبت نفس العبارة باللغة الأنجليزية في أربع مقاطع بينها كما يلي: المقطع الأول (**Governor**)، الثاني (**Generals**) الثالث (**office**) والرابع (**Sudan**) ويفصل بين المقطع والثاني نقطة.

ورد هذ الختم في وثيقة من سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام إلى الشيخ أحمد محمد حاج من قبيلة الفلاتة بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٠١م.

قائمة الاختام

تابع قائمة الاختام

رقم الختم	رقم الشكل	صفحة	ختم
٢٨	٢٤	٩٨	ختم السلطان علي دينار السادس
٢٩	٢٥	٩٩	ختم القرقيض خليل بن رمضان
٣٠	٢٦	١٠١	ختم السلطان محمد يوسف
٣١	-	١٠١	ختم السلطان حسين الرشيد بن محمد عجيب
٣٢	-	١٠٢	ختم السلطان أحمد غزالي
٣٣	-	١٠٢	ختم القاضي عز الدين بن موسى
٣٤	-	١٠٢	ختم السلطان ابراهيم قرض
٣٥	٢٧	١٠٣	ختم حكمدار السودان في العهد التركي
٣٦	٢٨	١٠٤	ختم مديرية كردفان في العهد المصري
٣٧	-	١٠٤	ختم المهدي الأول
٣٨	-	١٠٥	ختم المهدي الثاني
٣٩	٢٩	١٠٦	ختم المهدي الثالث
٤٠	٣٠	١٠٧	ختم المهدي الرابع
٤١	٣١	١٠٨	ختم الخليفة عبد الله
٤٢	٣٢	١٠٩	ختم حمدان أبو عنجة
٤٣	٣٣	١١٠	ختم أحمد سليمان «أمين بيت المال»
٤٤	٣٤	١١١	ختم محمد عبد الصادق
٤٥	٣٥	١١٢	ختم آدم بوش عيسى
٤٦	٣٦	١١٣	ختم أبكر اسماعيل سلطان المساليت
٤٧	٣٧	١١٣	ختم الحاج محمد الفاس
٤٨	٣٨	١١٤	ختم حامد علي

تابع قائمة الاختام

رقم الختم	رقم الشكل	صفحة	ختم
٤٩	٣٩	١١٥	ختم حامد يحيى
٢٨	٤٠	١١٦	ختم السلطان عبد الرحمن فرت
٢٩	٤١	١١٧	ختم حمودة إدريس
٣٠	٤٢	١١٨	ختم حيات بن سعيد
٣١	٤٣	١١٩	ختم عبد الرحمن إدريس
٣٢	٤٤	١٢٠	ختم خليل إبراهيم
٣٣	٤٥	١٢١	ختم رأس بنود منقشا
٣٤	٤٦	١٢٢	ختم إدريس أبوبكر
٣٥	٤٧	١٢٣	ختم الحسن سعد محمد العبادي
٣٦	٤٨	١٢٤	ختم إسحاق بن السلطان محمد
٣٧	٤٩	١٢٥	ختم ديوان حاكم عام السودان

تعـليقات

الفصل الأول

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية بطبعتيها تحت هذه المادة.

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية بطبعتيها تحت هذه المادة وتحت مادة (Seal)، وراجع دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة الخاتم.

(٣) اعتمدنا فيما أوردنا عن معاني اللفظ ومدلولاته على القواميس التي إشرنا إليها وعلى دائرة معارف القرن العشرين وعلى مقدمة ابن خلدون ودائرة المعارف الإسلامية.

(٤) ابن خلدون، مادة الخاتم، وكلما أشرنا إلى هذا المصدر فإننا نقصد هذا المكان.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية.

(٦) راجع دائرة المعارف الإسلامية تحت توقيع وطغرا.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية.

(٨) عن المواد التي يصنع منها الختم راجع دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطانية ومقدمة ابن خلدون.

(٩) شقير، نعوم، جغرافية وتاريخ السودان ص ٨٠٦ - ٨٠٩.

(١٠) ابن خلدون.

(١١) ابن خلدون.

(١٢) ابن خلدون.

(١٣) ابن خلدون.

(١٤) دائرة المعارف البريطانية.

(١٥) نفس المصدر.

(١٦) فيما يتصل بالشمع راجع دائرة المعارف البريطانية تحت مادة شمع الختم.

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية.

(١٨) فيما يتصل بالرسومات راجع دائرة المعارف الإسلامية أيضاً.

(١٩) دائرة المعارف الإسلامية.

(٢٠) قانون حافتي الاختام السوداني.

(٢١) براون، رحلات براون في دارفور.

(٢٢) دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني:

(٢٣) فيما يتصل بنشأة الختم وتطوره في التاريخ القديم راجع دائرة المعارف البريطانية والأختام الإسلامية.

(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية.

(٢٥) نفس المصدر.

(٢٦) نفس المصدر.

(٢٧) نفس المصدر.

(٢٨) دائرة المعارف البريطانية.

(٢٩) نفس المصدر.

(٣٠) نفس المصدر.

(٣١) اعتمدنا فيما يلي عن ختم مصر القديمة على مذكرة أعاننا بها صديقنا الدكتور مبارك بابكر الريح.

(٣٢) اعتمدنا فيما كتبنا عن الختم عند العرب والمسلمين على دائرة المعارف الإسلامية وكتاب الأختام الإسلامية في المتحف القومي مع الاستفادة ببعض كتب التاريخ وهي كلها مرصودة في ثبت المراجع.

(٣٣) عن مناسبة صنع ختم الرسول ﷺ راجع ابن خلدون ودائرة المعارف الإسلامية والطبري والسيوطي.

(٣٤) عن مادة ختم الرسول راجع دائرة المعارف الإسلامية والطبري وابن خلدون.

(٣٥) فيما يختص بحكم الشرع إزاء استعمال المعادن راجع الفقه على المذاهب الأربعة.

(٣٦) دائرة المعارف الإسلامية، الأختام الإسلامية.

(٣٧) أنظر أيضاً الفقه على المذاهب الأربعة.

(٣٨) أنظر قصة الختم في دائرة المعارف الإسلامية والطبري والسيوطي.

(٣٩) راجع ذلك في الطبري والسيوطي.

(٤٠) عن أختام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ونقوشها راجع الأختام الإسلامية ودائرة المعارف الإسلامية.

(٤١) دائرة المعارف الإسلامية والأختام الإسلامية.

(٤٢) دائرة المعارف الإسلامية.

(٤٣) نفس المصدر.

الفصل الثالث:

(٤٤) انظر في ذلك الفونج والأرض، والفور والأرض، والحركة الفكرية وسنار القرن الثامن عشر، ووثائق أرض من دارفور ومقالنا: الوثيقة العربية في السوداني.

الفصل الرابع:

(٤٥) يونس الدكيم إلى الخليفة، غاية القعدة ١٣٠٤هـ مهدية ١/٢٢/١٥٢.

(٤٦) اعتمدنا في الكلام عن أختام الفونج والعبدلاب على ما ورد في مقدمة كتابنا: الفونج والأرض، ص ١٢ - ١٨.

(٤٧) الفونج والأرض، الوثيقة رقم ١٥، صفحة ٩٥، والوثيقة رقم ١٢ في مجموعة خليفة الشيخ خوجلي.

(٤٨) مجموعة خليفة الشيخ خوجلي، الوثيقة رقم ١٢ و ١٣.

(٤٩) اعتمدنا في الكلام عن أختام الفور على مقدمة كتابنا: الفور والأرض، ص ٢٣ - ٤٦.

(٥٠) انظر صورته في كتاب جغرافية وتاريخ السودان لنعوم شقير، ص ٨٠٧.

(٥١) اعتمدنا في هذا الطرف عن أختام المهدية على كتابنا: الحركة الفكرية في المهدية ص ١١٢ - ١١٨.

(٥٢) لعل قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل، وارداً من قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا...... ونعم الوكيل». سورة آل عمران الآيات ١٦٧ - ١٧٣ وهي آيات الجهاد التي اكثر المهدي من الاستشهاد بها.
وانظر قوله حسبنا الله ونعم الوكيل في الراتب أيضاً، وإذا صح هذا الذي اقترحناه فأنظر في الآية وموضع نص الختم منها لتعرف المقصد منه.

(٥٣) يونس الدكيم إلى الخليفة، غاية القعدة سنة ١٣٠٤مهدية ١٨٤/٢/١، والخليفة إلى عثمان الدكيم ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٠٤، دفتر صادر ١٣ صفحة ٣٧٢.

(٥٤) يونس الدكيم إلى الخليفة، ١٨ صفر ١٣٠٥، سالم عثمان إلى الخليفة، ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠٥، مهدية ١٥٠/١٥/٢ ومهدية ٢٢٤/٢٢/١.

(٥٥) يونس الدكيم إلى الخليفة غاية القعدة ١٣٠٤، مهدية ١٤٩/٢٢/١، الخليفة إلى كل الجهات مهدية ١٢/٣١/٢.

(٥٦) يونس الدكيم إلى الخليفة، ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٤، مهدية ١/٢٢/١٦٣.

(٥٧) مهدية ١/٢٥/٧٢.

(٥٨) الخليفة إلى حمدان أبي عنجة، ٨ جماد آخر سنة ١٣٠٢، مهدية ١/٢٥/٧٢.

(٥٩) عبد الرحمن النجومي إلى عبد الحليم مساعد، ٢٠ شوال سنة ١٣٠٦، مجموعة عبد الر حمن النجومي، مهدية قسم أول.

(٦٠) انظر ختمه في السجل بهذا الكتاب.

ثبت المراجـع

قانون ناحتي الأختام لسنة ١٩٠٣

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، دار الشعب (بدون تاريخ).
- أبو سليم، الدكتور محمد ابراهيم: الحركة الفكرية في المهدية، قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم، الخرطوم ١٩٧٠م.
- أبو سليم، الدكتور محمد إبراهيم: الفور والأرض، الكراسة رقم ١٠ من كراسات معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، دار التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ١٩٧٥م.
- أبو سليم، الدكتور محمد إبراهيم: الفونج والأرض، وثائق تمليك، شعبة أبحاث السودان، مطبعة التمدن، الخرطوم ١٩٦٧م.
- البستاني، المعلم بطرس: محيط الحيط، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٠م.
- البستاني المعلم بطرس: قطر المحيط، مكتبة لبنان ١٩٦٩م.
- الحزيري، عبد الرحمن: الفقه على المذاهب الأربعة، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
- دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة احمد الشنتناوي وآخرين، وزارة المعارف، مصر ١٩٣٣، مادة الختم ومادة الصلصال.
- دائرة المعارف البريطانية: الطبعة الرابعة عشر والخامس عشر مادة Sigillography, seal.
- رضا، الشيخ محمد: معجم متن اللغة، المجلد الخامس، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٠م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر: تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين

القائمين بأمر الأمة من عهد أبي بكر الصديق إلى عهد المؤلف سنة ٩١١، القاهرة ١٣٥١.

- شقير نعوم: جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة بيروت ١٩٦٧م.

- الشيال، جمال الدين: مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨م.

- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مادة الختم.

- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٣.

- معلوف، لويس: المنجد، طبعة ٢١، دار المشرق بيروت ٧٣.

- النقشبندي، أسامة ناصر وحياة عبد علي الحوري: الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، مدير الآثار العامة بوزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٥م.

- وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن الرابع عشر - القرن العشرين - مطبعة دائرة المعارف القرن العشرين القاهرة ١٩٦٧م.







البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم

- ولد بقرية سركمتو بريفي حلفا بالاقليم الشمالي في ١٩٢٧م.
- تخرج في كلية الخرطوم الجامعية في ١٩٥٥م والتحق بخدمة محفوظات حكومة السودان التي تطورت على يديه حتى غدت دار الوثائق القومية التي تلعب دوراً نشطاً في مجتمع السودان.
- نال درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ من جامعة الخرطوم ١٩٦٦م.
- له عدة مؤلفات وبحوث في التاريخ والتراث والاجتماع والأدب والأرشيف والوثائق باللغتين العربية والإنجليزية.
- عضو بمجالس ولجان جامعية متعددة.
- عضو لجنة تاريخ الأمة العربية.
- عمل أستاذاً زائراً بجامعة الخرطوم وجامعة أم درمان الإسلامية وجامعة بيرجن بالنرويج.
- شارك في إجازة عدد كبير من الرسائل الجامعية .
- كان له نشاط واسع في المجلس الدولي للأرشيف وفرعه العربي ولجانه المتخصصة وهو من مؤسسي الفرع الإقليمي العربي للأرشيف وتولى رئاسته وأمانته العامة لعدة دورات وساهم في إنشاء معهد الوثائقيين العرب ببغداد.
- ترأس عدداً من اللجان القومية الهامة وأسهم في إدارة السودان.
- ترأس لجنة تقسيم مديريات السودان وساهم في بناء الحكم الإقليمي.
- مُنِح جائزة الدولة التقديرية في الآداب والعلوم والفنون ونال وسام الآداب والعلوم والفنون ووسام الجدارة ووسام الحكم الإقليمي ووسام الإنجاز السياسي ووسام النيلين من الطبقة الأولى.
- عاون في إنشاء وتنظيم دور الوثائق في بعض الدول العربية والأفريقية منها المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية ودولة قطر وتنزانيا.
- ترأس الجمعية التاريخية السودانية.
- عضو الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب وعضو المجلس القومي للآداب والعلوم والفنون.
- يعتبر حجة في تاريخ المهدية ونظمها وكتب عنها بحوثاً تعتبر معالم بارزة في أدبيات المهدية.
- حقق كثيراً من الأدبيات.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة